مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م ٣٢ ع ٣، ص ص: ٢٥٧ - ٣٠٠ (٢٠٢٤م)
DOI:10.4197/Art.32-3.9

جهود الإمام ابن عاشور في الدفاع عن القرآن الكريم ومنهجه في عرض الشبهات من خلال تفسيره التحرير والتنوير

تهاني بنت سالم أحمد باحويرث

أستاذ مشارك، بجامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية

tsbahwirth@uqu.edu.sa

المستخلص. منذ نزول القرآن الكريم والمحاولات للانتقاص منه مستمرة، وقد برزت للعلماء جهود واضحة في التصدي للشبهات الطاعنة فيه، ويهدف البحث إلى: بيان جهود ابن عاشور رحمه الله في الدفاع عن مصدرية القرآن الكريم، وصحة المصحف، كما يهدف إلى بيان منهجه في ذلك، وقد اتبع البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، فابتدأ البحث بالتعريف بمصطلحات البحث، والتعريف بالإمام ابن عاشور رحمه الله، ثم بيان جهوده في الدفاع عن مصدرية القرآن الكريم وموثوقية النص وصحة المصاحف، وكان من أبرز النتائج: أن ابن عاشور رحمه الله بذل جهدا كبيرا في الدفاع عن القرآن الكريم من خلال عرض الطعون المثارة حوله، وتفنيدها وإبطالها، بأدلة النقل والعقل واللغة والتاريخ وغيرها، مع تنوّع المجالات والموضوعات التي تناولها في الدفاع عن القرآن الكريم، وقد تنوعت أساليب ابن عاشور رحمه الله وطرق عرضه للشبهات وردّه عليها في تفسيره التحرير والتنوير، وظهرت براعته في الرد عليها، ويوصي البحث بالعناية بموضوع الدفاع عن القرآن الكريم وكتابة الأبحاث العلمية فيه، ليأخذ حظه من البحث والدراسة كغيره من علوم القرآن الكريم، والاهتمام بدراسة جهود المفسرين ومناهجهم في الدفاع عن القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: ابن عاشور، التحرير والتنوير، الطعون، الشبهات، الدفاع عن القرآن.

المقدمة

بسم الله، والحمد لله القائل: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، والصلاة والسلام على النبي الأميّ محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،

فمنذ نزول القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم والمحاولات للانتقاص منه مستمرة، فهؤلاء المشركون لما حاولوا معارضة القرآن الكريم بكل ما لديهم من براعة ولسان، وأيقنوا عجزهم عن الإتيان بآية من مثله، شرعوا في التطاول عليه ورميه بالتهم المختلفة طعنا فيه وإبطالا لصحته، لكنّ الله تكفل بحفظ كتابه، وقيّض الأسباب لبقائه دون تحريف أو تبديل، ومن تلك الأسباب: علماء في كل عصر يدافعون عنه، ويردون الشبهات الطاعنة فيه، ومنهم الإمام الطاهر ابن عاشور رحمه الله، الذي بذل وسعه في الدفاع عن القرآن الكريم في مواضع كثيرة من تفسيره التحرير والتنوير، بردود ملجمة جمعت بين العقل والنقل، حين أوضح عظمة النص القرآني، وأبرز ملامح إعجازه وإجلاله، وكان ذلك إما بشكل عام ومجمل في مقدمات تفسيره، أو بشكل خاص مفصل عند شرح كثير من آيات القرآن الكريم، فها هو رحمه الله يتحدث عن إعجاز القرآن الكريم في مقدمة تفسيره[١]، ويطيل الحديث في وصف بلاغته، وفصاحة ألفاظه، وحسن نظمه، وإبداع أساليبه، وبيان معانيه، مع ما فيه من الإشارات إلى الحقائق الكثيرة التي لم تبلغها عقول البشر وقت نزوله، وما تميز به من مبتكرات فاق بها أفصح وأبلغ ما عرفته العرب من النظم واختلاف الأساليب والتراكيب، وجزالة اللفظ، مما أعجز بلغاء العرب أن يأتوا بسورة من مثله[٢]، ولأهمية جهود العلماء والمفسرين في العناية بالقرآن الكريم والذبّ عنه، والانتصار له، ولعدم وجود دراسة تبحث في جهود الطاهر ابن عاشور رحمه الله في الدفاع عن القرآن الكريم من خلال تفسيره اخترت هذا الموضوع، وكان بعنوان: (جهود الإمام ابن عاشور في الدفاع عن القرآن الكريم ومنهجه في عرض الشبهات من خلال كتابه التحرير والتنوير).

أهمية البحث

تتضح أهمية موضوع البحث من خلال النقاط التالية:

- الارتباط الوثيق بين الموضوع وبين القرآن الكريم والدفاع عنه.
- مكانة ابن عاشور رحمه الله وتفسيره التحرير والتنوير.
- تنوع منهج ابن عاشور رحمه الله في الدفاع عن القرآن الكريم.
- تنوع أساليب ابن عاشور في الدفاع عن القرآن الكريم، والإفادة منها في موضوع الانتصار للكتاب العزيز.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٠١/١).

(٢) المرجع السابق، (١١٢/١، ١٢٠/١).

- تعدّد مواضيع ومجالات الطعون التي أوردها ابن عاشور رحمه الله في تفسيره.
- براعة ابن عاشور في عرض الطعون والرد عليها باستخدام مختلف الأدلة النقلية والعقلية.

مشكلة البحث

عند النظر إلى الطعون المثارة حول القرآن الكريم، وطريقة الطاهر ابن عاشور في الرد عليها وإبطالها، تثار التساؤلات: ما المراد بالدفاع عن القرآن الكريم؟ ومن هو الإمام ابن عاشور رحمه الله؟ وما هي جهوده في الذبّ عن القرآن الكريم؟ وما هو منهجه في عرض الشبهات والرد عليها؟

الدراسات السابقة

لم أقف بعد البحث في مصادر البحث المختلفة على دراسة تبحث في جهود الإمام ابن عاشور رحمه الله في الدفاع عن القرآن الكريم، ومنهجه في عرض الشبهات، ولم أجد سوى دراستين بحثتا في موضوع الرد على شبهات اليهود والنصارى في تفسير ابن عاشور رحمه الله:

الأولى: كانت بعنوان (جهود الإمام الطاهر ابن عاشور في الرد على شبهات النصارى من خلال تفسيره التحرير والتنوير)، رسالة ماجستير، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، للباحث: جابر عتيق، (٢٠١١م)، وهي رسالة يتضح من عنوانها اختصاصها بشبهات تتعلق بعقائد النصارى، فقد ناقش الباحث بعض شبهاتهم مثل: قضية التثليث، وشبهة اتخاذ الولد، وشبهة اللمز بقبلة المسلمين، وغيرها من الشبهات.

الثانية: كانت بعنوان (منهج ابن عاشور في الرد على شبهات اليهود من خلال تفسيره التحرير والتنوير)، للباحث: جيلالي بو تمرة، مجلة الإحياء، المجلد ٢٢، العدد ٣١، (٢٠٢٢م)، وهو بحث اعتنى ببيان منهج ابن عاشور رحمه الله في الرد على بعض الشبهات التي أثارها اليهود في باب الإلهيات، والنبوات وغيرها.

والاختلاف بين هاتين الدراستين وبين هذا البحث واضحة جلية، حيث يهتم هذا البحث باستعراض جهود ابن عاشور في الدفاع عن القرآن الكريم من خلال عرض المطاعن المثارة حول مصدريته، وسلامته من الخطأ والزيادة والنقصان، وسلامة المصحف، الواردة في تفسيره ومنهجه في ذلك.

حدود البحث

اعتنى البحث ببيان جهود الإمام ابن عاشور في الدفاع عن القرآن الكريم، وبيان منهجه في عرض الشبهات، من خلال عرض نماذج مختارة من الطعون الواردة في كتابه التحرير والتنوير، والمتعلقة بمصدرية القرآن الكريم، وموثوقية النص، وصحة المصحف.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى:

- بيان مفهوم الجهود.
- بيان مفهوم الدفاع عن القرآن الكريم.
- التعريف بالإمام الطاهر ابن عاشور رحمه الله.
- التعريف بتفسيره التحرير والتنوير وبيان مكانته.
- بيان جهود الإمام ابن عاشور رحمه الله في الدفاع عن مصدرية القرآن الكريم.
- بيان جهود الإمام ابن عاشور رحمه الله في الدفاع عن صحة المصحف وموثوقية النص.
- بيان منهج الإمام ابن عاشور رحمه الله في دفاعه عن القرآن الكريم.

خطة البحث

اشتمل البحث على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة وثبت للمصادر والمراجع.

أما المقدمة فقد اشتملت على: مشكلة البحث، وحدوده، وأهدافه، وأهميته، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالإمام ابن عاشور رحمه الله.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب التحرير والتنوير.

المطلب الثالث: مفهوم الجهود.

المطلب الرابع: مفهوم الدفاع عن القرآن الكريم.

المبحث الثاني: جهود ابن عاشور في الدفاع عن مصدرية القرآن الكريم من خلال تفسيره التحرير والتنوير، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الطعن المباشر في مصدرية القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الطعن في نظم القرآن الكريم.

المطلب الثالث: الطعن في سلامة النص القرآني.

المبحث الثالث: جهود ابن عاشور في الدفاع عن موثوقية النص وصحة المصحف من خلال تفسيره التحرير والتنوير.

المبحث الرابع: منهج ابن عاشور في الدفاع عن القرآن الكريم في تفسيره التحرير التنوير.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

منهج البحث

اعتمدت في كتابة هذا البحث على المناهج التالية:

- المنهج الاستقرائي: بالاطلاع على تفسير الطاهر ابن عاشور رحمه الله، وجمع الآيات القرآنية التي أورد فيها شبهات المشركين والملاحدة التي تطعن في القرآن الكريم.
- المنهج التحليلي: بدراسة هذه الآيات، والتعرف على منهج ابن عاشور رحمه الله وأسلوبه في عرض الطعون والرد عليها.
- وأما إجراءات البحث فكانت كالتالي:

- اعتنيت في ترتيب الآيات موضع الدراسة ترتيب المصحف، وعرضت الشبهات بذكر الآية القرآنية، ثم إيراد الطعن الوارد فيها، ثم تحليل دفاع ابن عاشور رحمه الله.
- كتبت الآيات بالرسم العثماني، مع بيان اسم السورة ورقم الآية.
- عزوت الأحاديث إلى مظانها من كتب المتون بذكر اسم الكتاب، والجزء، ورقم الصفحة، ورقم الحديث إن وجد، مع الاكتفاء بالصحيحين عند ورود الحديث فيهما أو في أحدهما، فإن لم يكن الحديث في أحد الصحيحين خرجته من غيرهما مع بيان حكم أهل الحديث عليه إن وجد.
- بينت الغريب من الألفاظ، مستعينة بكتب الغريب والمعاجم.
- وثقت نصوص المفسرين والعلماء من المصادر الأصيلة.

- وضعت علامة التنصيص " " عند نقل نص أحد المصادر، وتركت ذلك عند نقل مفهوم الكلام ومعناه، أو عند التصرف في النص، مع الإشارة إلى المرجع في الحاشية.
- ذكرت المراجع في آخر كل صفحة، مرتبة بحسب الوفيات، مكتفية بذكر اسم الكتاب واسم المؤلف مع رقم الجزء والصفحة، مع ذكْر تفاصيل الطباعة والنشر في فهرس المصادر.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث

المطلب الأول: التعريف بابن عاشور رحمه الله:[١]

اسمه ونسبه: محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور الشريف التونسي.

مولده: ولد ابن عاشور رحمه الله في تونس سنة ١٢٩٦هـ الموافق ١٨٧٩م.

نشأته: نشأ ابن عاشور رحمه الله في بيت علم، فوالده كان نقيب أشراف تونس وكبير علمائها، وولي قضاءها، وجدّه كان من فقهاء عصره، تقلّد المناصب في القضاء والإفتاء والتدريس، مما أثر على حياة ابن عاشور رحمه الله، فحفظ القرآن الكريم صغيرا، واكتسب العلوم المختلفة في سن مبكرة، والتحق بجامعة الزيتونة، فدرس علوم القرآن الكريم، والقراءات، والحديث الشريف، والسيرة، والفقه المالكي، واللغة، والبلاغة، والتاريخ، والمنطق.

مكانته العلمية ومؤلفاته: كان ابن عاشور رحمه الله إماما عالما بالشريعة واللغة والأدب والبلاغة والتاريخ، وتقلّد العديد من المناصب العلمية والإدارية في التدريس والقضاء والإفتاء، فكان رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، وعضو المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، له مصنفات كثيرة مطبوعة ومخطوطة، منها:

- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، المعروف باسم: التحرير والتنوير، في علم التفسير.
- كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، في علم الحديث.
- مقاصد الشريعة الإسلامية، في علم الفقه وأصوله.

---

(١) ينظر: الأعلام، الزركلي، (١٧٣/٦).

- موجز البلاغة، في علم البلاغة.
- أصول الإنشاء والخطابة، في علم النقد والأدب.

وفاته: توفي رحمه الله سنة ١٣٩٣هـ، الموافق ١٩٧٣م، عن عمر يناهز السابعة والتسعين عاما، وقد ترك خلفه موسوعة ضخمة وتركة ثقيلة من المؤلفات في شتى أنواع العلوم.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب التحرير والتنوير

اسم الكتاب: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد.

أهمية الكتاب: يعدّ كتاب التحرير والتنوير تفسيرا لكتاب الله تعالى، قضى ابن عاشور في كتابته وتأليفه قرابة ٤٠ عاما، حيث بدأ في تأليفه عام ١٣٤١هـ، وفرغ منه عام ١٣٨٠ هـ، يقول ابن عاشور رحمه الله مبيّنا الهدف من كتابة هذا التفسير: "فجعلت حقا عليّ أن أبدي في تفسير القرآن نكتا لم أر من سبقني إليها، وأن أقف موقف الحكم بين طوائف المفسرين تارة لها وآونة عليها"(١)، ويعدّ من أحسن تفاسير المعاصرين وأرسخها، قدّم له ابن عاشور رحمه الله بمقدمات عشر، في التفسير والتأويل، ومصادر علم التفسير، والتفسير بالرأي، وما ينبغي أن يكون عليه غرض المفسر، وأسباب النزول، والقراءات، وقصص القرآن، وأسماء القرآن الكريم وترتيب الآيات والسور وأسمائها، وفي إتقان نظم القرآن الكريم، وإعجاز القرآن الكريم.

منهج ابن عاشور رحمه الله في تفسيره: من خلال هذه المقدمات وبعد الاطلاع على تفسير التحرير والتنوير يلحظ القارئ عناية ابن عاشور رحمه الله في تفسيره ببيان معاني الآيات، وبراعته في الجوانب البلاغية، مع الاهتمام بعرض القراءات القرآنية، وإبراز وجوه الإعجاز في آيات القرآن الكريم، والاهتمام بعرض القراءات، واستنباط المواعظ والعبر، وبيان أغراض السور، ومناسبات الآيات والسور، يقول رحمه الله شارحاً منهجه: "وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال، واهتممت أيضا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض،...، ولم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورا على بيان مفرداته ومعاني جمله كأنها فقر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه وتحجب عنه روائع جماله، واهتممت بتبيين معاني المفردات في اللغة العربية بضبط وتحقيق مما خلت عن ضبط كثير منه قواميس اللغة، وعسى أن يجد فيه المطالع

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٧/١).

تحقيق مراده، ويتناول منه فوائد ونكتا على قدر استعداده، فإني بذلت الجهد في الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسير".[١]

واعتمد رحمه الله في تفسيره على التفسير بالرواية والدراية، فأما التفسير بالرواية فقد اعتنى بتفسير القرآن بالقرآن، والقرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين، وأما التفسير بالدراية فقد كان مجتهدا مستنبطا للمعاني والأحكام مع مراعاةٍ للمأثور، ودقةٍ في النقل والاختيار، وشدةٍ في التمحيص.

وظهرت النزعة المقاصدية عند ابن عاشور رحمه الله في تفسيره واضحة جلية من خلال النظر في مقدماته وتفسيره لآيات القرآن الكريم.

يقول ابن عاشور رحمه الله ممتدحا تفسيره: " ففيه أحسن ما في التفاسير، وفيه أحسن مما في التفاسير، وسميته: (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ".[٢]

المطلب الثالث: مفهوم الجهود

الجهود: جمع جهد، والجُهد والجَهد لغتان فصيحتان بمعنى واحد، يدلان على الطاقة وبلوغ الغاية، يقال: بلغ الرجل جُهده وجَهده ومجهوده إذا بلغ أقصى قوته وطوقه، وتقول: جهدت جهدي أي: بلغت غاية الأمر.[٣]

المطلب الرابع: مفهوم الدفاع عن القرآن

الدفاع: من الدفع، والدال والفاء والعين أصل واحد مشهور، يدل على تنحية الشيء، ودافع بمعنى دفع، أي: حامى عنه وانتصر له، يقال: دفع الله عنك المكروه دفعا، ودافع عنك السوء دفاعا، ودفعت الشيء أدفعه دفعا، أي: منعته[٤]، والدفاع: فعال من اثنين، وهو رد الشيء عن وجهته التي هو منبعث إليها[٥]، والدفاع عن القرآن الكريم: حمايته والانتصار له بالتصدي للطاعنين فيه ودحض شبهاتهم ودفعها.

---

(١) المرجع السابق، (٨/١).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٨/١).

(٣) ينظر: جمهرة اللغة، ابن دريد، (٤٥٢/١)، تهذيب اللغة، الأزهري، (٢٦/٦).

(٤) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، (٢٨٨/٢)، لسان العرب، ابن منظور، (٨٧/٨).

(٥) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص١٦٦.

جهود ابن عاشور رحمه الله في الدفاع عن القرآن الكريم

هي الطاقة التي بذلها ابن عاشور رحمه الله في حماية القرآن الكريم من الشبهات والطعون المثارة حوله، والانتصار له والذب عنه بتفنيد هذه الشبهات وإبطالها والرد عليها.

المبحث الثاني: جهود ابن عاشور في الدفاع عن مصدر القرآن الكريم من خلال تفسيره التحرير والتنوير

يعدّ موضوع مصدرية القرآن الكريم من أهم وأكثر الموضوعات التي أورد عليها الملاحدة والطاعنين الشكوك والشبهات، فمنذ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم يتعرض للطعن في مصدره والتشكيك في كونه وحيا من عند الله تعالى، فكل شبهة زعمت صراحة أن القرآن الكريم ليس كلام الله، أو زعمت وقوع اللحن في القرآن الكريم، أو الخطأ في نظمه أو أسلوبه، أو وقوع التناقض فيه فهي طعون تشكك في مصدره، وأنه ليس من عند الله تعالى، وإلا لما وقعت فيه هذه الأخطاء التي يزعمون، وفي المطالب التالية أتناول بعض هذه الطعون الواردة في تفسير التحرير والتنوير ودفاع ابن عاشور حمه الله عليها:

المطلب الأول: الطعن المباشر في مصدرية القرآن الكريم

يمكن القول بأن الطعون التي تشكك بشكل صريح ومباشر في مصدر القرآن الكريم جميعها تشير إلى أنّ مصدر القرآن الكريم هو الوسط الذي عاش فيه النبي صلى الله عليه وسلم، فإما أن يكون عليه الصلاة والسلام قد أخذ نصوص القرآن الكريم من الرهبان والكهان والقصّاص وغيرهم، واستقى معلوماته منهم، وإما أنه عليه الصلاة والسلام حاكى قول شعراء الجاهلية فأتى بنصوص تشبه شعرهم.

وقد أورد ابن عاشور رحمه الله ردّه على بعض هذه الطعون في مواضع مختلفة في تفسيره، **من ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [الحج:٥٢].

الطعن

تناول ابن عاشور رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية شبهة عرضت للضعفاء في علوم السنة وتلقفها منهم بعض المفسرين حبّاً في غرائب النوادر دون تمحيص أو تأمل، فقالوا: إن الآية نزلت بسبب قصة تتعلق بقوله تعالى في سورة النجم: ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ﴾ [النجم:١٩]، " قالوا: إن النبيء صلى الله عليه وسلم جلس في ناد من أندية قريش بحضور المسلمين والمشركين، فقرأ عليهم سورة النجم فلما بلغ قوله: ﴿"أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩، ٢٠] ألقى الشيطان بين السامعين عقب ذلك

قوله: (تلك الغرانيق[١] العلى وإن شفاعتهن لترتجى)، ففرح المشركون بأنْ ذكر آلهتهم بخير، وكان في آخر تلك السورة سجدة من سجود التلاوة، فلما سجد في آخر السورة سجد كل من حضر من المسلمين والمشركين، وتسامع الناس بأن قريشا أسلموا حتى شاع ذلك ببلاد الحبشة، فرجع من مهاجرة الحبشة نفر منهم عثمان بن عفان إلى المدينة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشعر بأن الشيطان ألقى في القوم، فأعلمه جبريل عليه السلام فاغتمّ لذلك فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ﴾ [الحج:٥٢] الآية تسلية له".[٢]

دفاع ابن عاشور رحمه الله

ظهرت قوة ابن عاشور في علمي الحديث واللغة عند دحض هذه الشبهة حيث أبطلها من عدة أوجه:

– بدأ رحمه الله بالإنكار على مَن ادعى، وعاب عليهم عدم التمحيص للروايات، بقوله: "فلم يكتفوا بما أفسدوا من معنى الآية حتى تجاوزوا بهذا الإلصاق إلى إفساد معاني سورة النجم".[٣]

– ثم شرع في الردّ على الروايات التي تدّعي هذه الشبهة وأبطل أسانيدها، وقال بضعفها، وعلّل ذلك بأمور:

---

(١) الغرانيق: بفتح الغين المعجمة، هي طيور الماء، كانت تشبه الأصنام التي يعتقدون أنها تشفع لهم وتقربهم إلى الله وهي تعلو في السماء وترتفع. ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، القاري، (٨٠٩/٢).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٠٣/١٧-٣٠٤).

والخبر أخرجه البزار في مسنده من حديث يوسف بن حماد عن أمية بن خالد عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه، ح (٥٠٩٦)، قال أبو بكر البزار رحمه الله: " وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد متصل عنه يجوز ذكره إلا بهذا الإسناد، ولا نعلم أحدا أسند هذا الحديث عن شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد، عن ابن عباس إلا أميّة ولم نسمعه إلا من يوسف بن حماد، وكان ثقة وغير أمية يحدث به عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير مرسلا، وإنما هذا الحديث يعرف عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس ". مسند البزار، (٢٩٧/١١).

قال القاضي عياض رحمه الله: " هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل". الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، (٢٨٩/٢).

وقال: بيّن أبو بكر رحمه الله أنه لا يُعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا، مع ما فيه من ضعف النقلة ووقوع الشك فيه واضطراب رواياته وانقطاع إسناده واختلاف كلماته، مما يجعله خبر لا يوثق به ولا حقيقة معه، ورواية الكلبي نكرة شديدة الضعف. ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، (٢٩١/٢).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٠٣/١٧).

أولا: أن هذه الروايات أخبار آحاد تعارض أصول الدين التي تكذبها وتثبت العصمة للنبي صلى الله عليه وسلم في تلقّيه الوحي من الله، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾ [النجم:٣]، فلو رُويت من ثقات لوجب رفضها لمعارضتها أصول الدين.

ثانيا: أنه لم يُذكر في أحد أسانيدها سماع الصحابي من النبي صلى الله عليه وسلم.

ثالثا: أن إسناد الروايات إلى ابن عباس سند مطعون، واستند في ذلك على عدم حضور ابن عباس رضي الله عنه مجالس النبي صلى الله عليه وسلم في الوقت الذي نزلت فيه سورة النجم.(١)

رابعا: اعترض ابن عاشور على تركيب هذه القصة على الخبر الصحيح الذي ثبت فيه سجود المشركين في آخر سورة النجم لما سجد المسلمون(٢)، ونبه على أنه خطأ المؤلفين وتخليط منهم.(٣)

– ثم استغرق ابن عاشور رحمه الله في إبطال هذه الشبهة حتى بعد إبطال الروايات المستندة عليها، فأوضح المعنى الصحيح للأمنية، وردّ على الطاعنين تعسفهم في استنادهم إلى معنى لغوي للأمنية غير موثوق، فزعموا أن الأمنية بمعنى القراءة أو التلاوة(٤)، حتى يجدوا لمزاعمهم عذرا، واستدلّ ابن عاشور على بطلان هذا المعنى بأمور:

أولا: عدم وجود شاهد صريح له في كلام العرب.

ثانيا: ناقش استنادهم على بيت شعر منسوب لحسان بن ثابت قاله في رثاء عثمان بن عفان رضي الله عنهما، يقول فيه:

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٠٤/١٧).

(٢) الخبر الصحيح: عن عبد الله رضي الله عنه: " أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم، فسجد بها فما بقي أحد من القوم إلا سجد، فأخذ رجل من القوم كفّا من حصى أو تراب فرفعه إلى وجهه، وقال: يكفيني هذا ". أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب سجود القرآن، باب سجدة النجم، ح (١٠٧٠)، (٤١/٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب سجود التلاوة، ح (١٠٥)، (٤٠٥/١).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٠٥/١٧).

(٤) قال بذلك جماعة من المفسرين منهم: الزجاج في معاني القرآن وإعرابه، (٤٣٣/٣)، الواحدي في تفسيره الوسيط، (٢٧٦/٣)، البغوي في تفسيره، (٣٤٧/٣)، ابن عطية في تفسيره، (١٥٨/٤)، وتأويلهم أن الشيطان شابه صوت النبي صلى الله عليه وسلم وألقى بهذه الكلمات في أثناء قراءته عليه الصلاة والسلام فظنّ المشركون أنها من قوله صلى الله عليه وسلم.

تمنّى كتابَ الله أولَ ليلةٍ وآخرُه لاقى حمَام المقادِرِ[١]

فشكّك في صحة الرواية، ثم أوضح أن توّهم وجود شواهد أخرى لهذا المعنى ما هو إلا تعدّد روايات البيت مع توهّم اختلاف شطره الثاني، حيث روي بلفظ:

تمنّى كتابَ الله أولَ ليلةٍ تمنّي داودَ الزّبور على مهلِ[٢]

وعلى افتراض صحة المنسوب إلى حسان بن ثابت رضي الله عنه، فقد أوّل ابن عاشور رحمه الله المعنى بقوله: إنّ عثمان رضي الله عنه تمنى قراءة القرآن في أول الليل على عادته فلم يتمكن من ذلك بسبب الشغب الحاصل ممن حاصروه ليلة مقتله، ولهذا جعله حسان رضي الله عنه تمنّيا لأنه أراد ذلك ولم يستطع.[٣]

ثالثا: أكّد على أنّ المعنى الصحيح للأمنية هي معناها المشهور: و"حقيقتها: طلب الشيء العسير حصوله، والأمنية: الشيء المتمنّى"[٤]، "والإلقاء حقيقته: رمي الشيء من اليد، واستعير هنا للوسوسة وتسويل الفساد"[٥]، "فإسناد التمني إلى الأنبياء دل على أنه تمني الهدى والصلاح، وإسناد الإلقاء إلى الشيطان دل على أنه إلقاء الضلال والفساد، فالتقدير: أدخل الشيطان في نفوس الأقوام ضلالات تفسد ما قاله الأنبياء

(١) معنى البيت: أنه بعد قراءته لقي حتفه المقدّر له، ولم أجده في دواوين الشعر، وذكره أهل اللغة بلا نسبة لقائل، ينظر: العين، الفراهيدي، (٣٩٠/٨)، مقاييس اللغة، ابن فارس، (٢٧٧/٥)، لسان العرب، ابن منظور، (٢٩٤/١٥).

ونسبه بعض المفسرين إلى حسان بن ثابت رضي الله عنه، ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (٤٣٤/٣)، تفسير أبي حيان، (٥٢٧/٧)، تفسير القاسمي، (٢٦٤/٧).

(٢) معنى البيت: تلا كتاب الله متأنّيا كما تلا داودُ الزبورَ بتأنّ، ينظر: المحكم، ابن سيده، (٥١١/١٠)، لسان العرب، ابن منظور، (٢٩٤/١٥)، ولم أجده في دواوين الشعر، وذكره أهل اللغة بلا نسبة، ينظر: العين، الفراهيدي، (٣٩٠/٨)، لسان العرب، ابن منظور، (٢٩٤/١٥). ولم ينسب المفسرون البيت إلى قائل، ينظر: تفسير السمرقندي، (٤٦٥/٢)، تفسير ابن عطية، (١٢٨/٤)، تفسير أبي حيان، (٥٢٧/٧).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٩٩/١٧)، (٣٠٦/١٧).

(٤) المرجع السابق، (٢٩٧/١٧)، وفي كتب اللغة جاءت الأمنية على معنيين: القراءة، وما يتمناه الإنسان ويرغبه، والجمع أمانٍ وأمانيّ، ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، (٣٨٣/١٥)، المحكم، ابن سيده، (٥١١/١٠)، مختار الصحاح، الرازي، ص٣٠٠، لسان العرب، ابن منظور، (٢٩٤/١٥)، وممن ذكر المعنيين من المفسرين: الطبري في تفسيره، (٦٠٨/١٦)، السمرقندي في تفسيره، (٤٦٥/٢)، الشوكاني في تفسيره، (٥٤٦/٣)، ابن عطية في تفسيره، (١٢٨/٤).

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٩٨/١٧)، ينظر: المحكم، ابن سيده، (٥٠٦/٦)، الكليات، الكفوي، ص٤٨١.

من الإرشاد"[١]، فالمراد: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمنى هداية قومه وصلاحهم، فألقى الشيطان إليهم بوساوسه وضلالاته، والله ببيانه وهديه يزيل الشبهات التي يلقيها الشيطان ويزيد آيات دعوة نبيه بيانا ووضوحا، ويحكم آياته ويثبت مدلولاتها.[٢]

وقد أكد ابن عاشور على هذا المعنى في مواضع مختلفة من تفسيره، فأوضح أن معنى التمني: الرغبة في حصول الشيء العسير، من ذلك ما جاء عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة:٧٨]، فرفض رحمه الله أن يكون المعنى: لا يعرفون من الكتب إلا كلمات يقرؤونها دون تفقه، وقرر أن معنى التمني في الآية هو تمني اليهود أن يكونوا علماء فلمّا لم ينالوا مرادهم ادّعوه ظلما.[٣]

– وبعد أن فرغ من بيان معنى الأمنية وعرض أدلته اللغوية، أوضح أنه على افتراض أن معنى الأمنية في الآية القراءة، فإنّ مراد الآية لا يتغير عن المعنى المقرر آنفا، فالنبي صلى الله عليه وسلم إذا قرأ على الناس ما أوحي إليه ألقى الشيطان في قراءته، أي: وسوس لهم بما يناقض الوحي، وسوّل لهم الإعراض عن الموحى إليهم، "فشبه تسويل الشيطان بوسوسته للكافرين عدم امتثال النبي بإلقاء شيء في شيء لخلطه وإفساده".[٤]

– ثم شرع ابن عاشور رحمه الله في الرد العقلي على أصحاب هذا الطعن، فأبطل هذه الشبهة بدليل عدم المناسبة، فقول الطاعنين: إن النبي صلى الله عليه وسلم مدح ألهتهم بقوله: الغرانيق العلى، وأن شفاعتهن لترتجى، مناقض لمضمون السورة، ومخالف لما ورد في الآيات من إبطال عبادة الأصنام وبيان زيف عقائدهم، فكيف "يجتمع في كلام واحد تسفيه المشركين في عبادتهم الأصنام بقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩] إلى قوله: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ﴾ [النجم: ٢٣].[٥] ومدحها بقول: وإن شفاعتهن لترتجى؟ ثم كيف يقع السجود من المشركين مع المسلمين في خاتمة السورة عند قوله تعالى: ﴿فَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعۡبُدُواْ﴾ [النجم:٦٢]، وهم قد سمعوا السورة بما فيها من سبّ آلهتهم والثناء عليها في وقت

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٩٨/١٧).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٩٩/١٧).

(٣) ينظر: المرجع السابق، (٥٧٥/١).

(٤) المرجع السابق، (٢٩٩/١٧).

(٥) المرجع السابق، (٣٠٤/١٧).

واحد كما يزعمون، فإن المتفق عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم حتى خاتمتها في وقت واحد، ويدلّ عليه سجود من سجد مع المسلمين من المشركين، مما يعني أنهم سمعوا السورة كلها بما فيه هذا التناقض المزعوم(١)، وعليه فإنْ لمْ نقل ببطلان الروايات فالمنطق "أن بعض المشركين وجدوا ذكر اللات والعزى فرصة للدخل لاختلاق كلمات في مدحهن، وهي هذه الكلمات، وروجوها بين الناس تأنيسا لأوليائهم من المشركين، وإلقاء للريب في قلوب ضعفاء الإيمان"(٢)، وطلبا للمعذرة لهم بين قومهم على فعلهم، فأشاعوا هذا الخبر، وعمدوا إلى آية ذكرت فيها آلهتهم، فركبوا عليها كلمات أخرى من تأليفهم.(٣)

– استند ابن عاشور في إبطال هذا الطعن على معرفته بعلم المكي والمدني، فاعترض على تركيب القصة الواردة في سورة النجم على آية سورة الحج: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [الحج:٥٢]، واستدل بطول الزمن بين نزول سورة النجم التي كانت من أوائل ما نزل في مكة وبين نزول سورة الحج التي كان نزول بعضها من آخر ما نزل بمكة وبعضها الآخر من أول ما نزل بالمدينة.(٤)

وبهذه الأدلة من المنقول والمعقول أبطل ابن عاشور هذا الطعن.

ومن الطعون في مصدر القرآن ما ذكره ابن عاشور رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ﴾ [يس:٦٩].

الطعن

تحدث ابن عاشور رحمه الله في هذه الآية عن أحد طعون الملحدين في مصدر القرآن الكريم حين قالوا إنه شعر حاكى به النبي صلى الله عليه وسلم شعراء العرب، واستندوا على وجود فقرات في القرآن الكريم استكملت في وزنها بعض بحور الشعر العربي، فيلتئم من بعضها بيتا كاملا، وبعضها يتقوّم منه شطر واحد، وهذا يلزم وقوع الشعر في القرآن الكريم، وهذا ينفي كونه من عند الله تعالى.(٥)

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٠٤/١).

(٢) المرجع السابق، (٣٠٥/١٧).

(٣) ينظر: المرجع السابق، (٣٠٦/١٧).

(٤) ينظر: الناسخ والمنسوخ، النحاس، ص٥٦١، الناسخ والمنسوخ، المقري، ص١٢٦، ص١٧٠، البيان في عدّ آي القرآن، أبو عمرو الداني، ص١٨٩، ص٢٣٤، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، (٤٠/١)، (٤٨/١).

(٥) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٥٨/٢٣).

دفاع ابن عاشور رحمه الله

وظف ابن عاشور رحمه الله براعته في اللغة والشعر والأدب لإبطال هذه الشبهة من عدة أوجه:

– نبه رحمه الله في البداية على أن الرد على هذا الطعن جاء في الآية نفسها، حيث دافع القرآن عن نفسه ونفى كونه شعرا وكون النبي صلى الله عليه وسلم شاعرا بقول الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ [١]، أي علمناه القرآن وأوحيناه إليه ولم نعلّمه نظْم الشعر، وليس المراد منها أن الله لم يجعل للنبي القدرة على نظم الشعر[٢]؛ لأن تلك المقدرة لا تسمى تعليما حتى يتم نفيها، ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ أي لا يليق بالنبي صلى الله عليه وسلم[٣]، ولا يتأتى له نظم الشعر، فلم نجعل له ملَكة قرْض الشعر وتأليفه، لقطع الشبهة عن كونه شاعرا وكون القرآن شعرا [٤]، ولتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم ومقام النبوة عما في الشعر من غزل وهجاء ومبالغة وتجاوز وإفراط.[٥]

– كما أشار ابن عاشور رحمه الله إلى دفاع القرآن الكريم عن نفسه بقوله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ في الآية نفسها، فقد أفاد القصر في الآية بقصر الوحي على الاتصاف بكونه ذكرا وقرآنا مبيناً، فالذي علمه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ليس شعرا كما زعمتم.[٦]

– ثم استدرك اين عاشور رحمه الله على ردود من سبقه لإبطال هذا الطعن، والتي كانت في غالبها تحاول إخراج مفهوم الشعر عن فقرات القرآن الكريم[٧]، وإنكار احتوائه على شيء من موازين البحور الشعرية، وقد خالفهم رحمه الله في ذلك بقوله: "ولا محيص من الاعتراف باشتمال القرآن على فقرات متزنة يلتئم منها بيت أو مصراع، فأما ما يقل عن بيت فهو كالعدم إذ لا يكون الشعر أقل من بيت، ولا فائدة في

---

(١) ينظر: تفسير الشوكاني، (٤/٤٣٥)، التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٤/١٧).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٣/٥٦-٥٨).

(٣) ينظر: تفسير النسفي، (٣/١١٠)، التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٦/١٧٢).

(٤) ينظر: تفسير ابن فورك، (٢/٢٠٥)، التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٣/٦٢).

(٥) ينظر: تفسير ابن جزي، (٢/١٨٦)، التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٣/٦٤).

(٦) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٣/٦٥).

(٧) منهم: السكاكي في مفتاح العلوم، (١/٥٩٨)، وابن العربي في أحكام القرآن، (٤/٢١).

الاستكثار من جلب ما يلفى متزنا فإن وقوع ما يساوي بيتا تاما من بحر من بحور الشعر العربي ولو نادرا أو مزحفا أو معلا كاف في بقاء الإشكال".[١]

فهو رحمه الله يرى أنه ليس من الصواب الاستغراق في نفي شيء لا يمكن نفيه، فإن وقوع ما يوازي بيتا من بيوت الشعر في القرآن الكريم ولو مرة واحدة كافٍ لبقاء الإشكال ووجوب الرد عليه.

– واستدرك كذلك رحمه الله على من ردّ على هذا الطعن بكون الطاعنين قد أخذوا بأضعف المذهبين: "يعني المذهبين: مذهب الذين قالوا: لا يكون الشعر شعرا إلا إذا قصد قائله أنْ يكون موزونا، ومذهب الذين قالوا: إنّ تعمّد الوزن ليس بواجب، بل يكفي أن يلفى موزونا ولو بدون قصد قائله للوزن، وقد نُصر المذهب الأول"[٢]، أنكر عليهم ذلك بقوله: إن للطاعنين ألا يأخذوا بأصح المذهبين في معنى الشعر، فلهم أن يستندوا على أضعف المذاهب في حقيقة الشعر للانتصار لشبهتهم، وهذا القول لا يبطل طعنهم.

– ثم استند في الردّ عن هذه الشبهة التي لم يتصدّ لاقتلاعها قبله كثير من المفسرين على فصاحة القرآن الكريم وبلاغته وإعجازه، فأوضح رحمه الله أن القرآن الكريم نزل بأفصح لغة عرفتها البشرية، وبلغت ألفاظه ومعانيه ونظمه حدّا يعجز عنه كل بليغ، ثم قال: إذا بلغ كلام أحدهم أعلى مقامات البلاغة والفصاحة والبيان، واتفق أن يجري في مجموع حركاته وسكوناته ما كان جاريا على موازين الشعر العربي وضروبه لم يكن ذلك دلالة على كونه شعرا لو كان ذلك من غير قصد منه، فلو وقع هذا في كلام البشر قد لا ينتبه إليه صاحبه، ولو انتبه لم يصعب عليه تغييره لأنه ليس المراد من كلامه، أما وقوع ذلك في كلام الله فغير وارد لعدة أسباب:

أولا: أن الله عالم بما أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم، فلا يخفى عليه وقوع ما يشبه الشعر فيما أوحاه إليه.

ثانيا: أن مجموع الألفاظ التي جاء بها القرآن الكريم بلغت حدّ الإعجاز، وجاءت مناسبة لمقتضى الحال، فلم يقع تبديلها بغيرها، أو التصرف في ترتيبها في الكلام لضرورة الوزن الشعري.

ثالثا: أن الله أراد تنزيه كلامه سبحانه عن شائبة الشعر فلم يشتمل كلامه الموحى به إلى نبيه صلى الله عليه وسلم على محسّنات جمعت بين النثر والنظم، سدّاً لباب هذه الشبهة التي قد تعرُض لهم لو جاءت

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٦٠/٢٣).

(٢) المرجع السابق، وممن ذكر هذا القول من المفسرين: الرازي في تفسيره، (٣٠٥/٢٦)، والقرطبي في تفسيره، (٥٥/١٥).

آيات القرآن الكريم على موازين الشعر[١]، "فكان القرآن معجزا لبلغاء العرب بكونه من نوع كلامهم لا يستطيعون جحودا لذلك، ولكنه ليس من الصنف المسمى بالشعر، بل هو فائق على شعرهم في محاسنه البلاغية، وليس هو في أسلوب الشعر بالأوزان التي ألقوها، بل هو في أسلوب الكتب السماوية والذكر".[٢]

– كما استند ابن عاشور رحمه الله لإبطال هذا الطعن على أحوال بعض عقلاء المشركين كالوليد بن المغيرة الذي نفى أن يكون القرآن شعرا.[٣]

وبمجموع هذه الردود من النقل والعقل أبطل ابن عاشور رحمه الله هذا الطعن.

المطلب الثاني: الطعن في نظم القرآن الكريم

كالطعن في أسلوب القرآن الكريم، فزعم الطاعنون من الملاحدة وغيرهم أن من فساد نظم القرآن الكريم وقوع الخلط فيه، وكثرة تكرار آياته وقصصه وموضوعاته، وضعف بعض التشبيهات فيه، وقد ردّ ابن عاشور رحمه الله على بعض هذه الطعون، **من ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة:٢٦].

الطعن

عرض ابن عاشور رحمه الله الشبهة الواردة في الآية، وبيّن أن المشركين طعنوا في معاني القرآن الكريم وتشبيهاته للتشكيك في كونه من عند الله تعالى، فزعموا احتواءه على المعاني والتشبيهات السخيفة.

دفاع ابن عاشور رحمه الله

– ناقش ابن عاشور رحمه الله الخلاف في كون الطاعنين هم المشركون أم اليهود، وأوضح أن مدنية السورة أنسب لكونهم اليهود، وسياق الآيات أوفق مع كونهم المشركين، فالسورة وإن كانت مدنية فإن المشركين لم يتوانوا عن إلقاء الشبه التي تشكك في نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحة رسالته[٤]، وجمع بين

(١) ينظر: التفسير الكبير، الرازي، (٣٠٥/٢٦)، التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٦١/٢٣-٦٢).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٦٢/٢٣).

(٣) ينظر: المرجع السابق.

(٤) ينظر: الكشاف، الزمخشري، (١١٢/١)، التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٥٨/١).

الأقوال المختلفة، مع إمكانية صدور الطعن عن المشركين واليهود، فالمشركون كانوا يتشاورون مع اليهود في شأن النبي صلى الله عليه وسلم ونبوته خاصة بعد هجرته عليه الصلاة والسلام إلى المدينة، فلا مانع من تظاهر الفريقين على نفس المقولة وهي الطعن في بلاغة القرآن الكريم، وخاصة الطعن في بلاغة ضرب الأمثال في القرآن الكريم بالبعوض والعنكبوت والذباب، فلما أنزل الله تمثيل المنافقين بالذي استوقد نارا وكان معظمهم من اليهود زاد حنقهم على النبي صلى الله عليه وسلم فاختلقوا هذه المطاعن، فأنزل الله الآية للرد على الطاعنين من الفريقين.(١)

– أوضح رحمه الله منشأ هذه الشبهة بقوله: إن كان اليهود هم أصحاب هذا الطعن فهو لجهلهم وقلّة باعهم في علوم البلاغة، وإن كانوا هم المشركون فهو لكبرهم وعنادهم وإلا فهم يعلمون وقوع مثل هذا التشبيه في كلام بلغائهم.(٢)

– وأبطل ابن عاشور رحمه الله هذا الطعن بأمور، منها: دفاع القرآن الكريم عن نفسه، حيث وصفت الآية أصحاب هذا الطعن بالفاسقين.(٣)

– ثم استند رحمه الله على مناسبة الآية لما قبلها لدحض الشبهة، فقد يبدو في أول الأمر أنها غير مناسبة لسياق ما سبقها من آيات، وأوضح الأمر بقوله: إن الآيات السابقة تثني على الكتاب المبين وتصف حال المهتدين بهديه والناكبين عن صراطه وتبين إعجازه والتحدي به مع ما فيه من المواعظ النافعة والتشبيهات البليغة، ثم جاءت هذه الآية تخبر أن الله لا يعبأ سبحانه عن ضرب المثل بشيء حقير أو غير حقير، وبهذا تظهر مناسبة الانتقال من التحدي السابق، تحدي بلغاء العرب بأن يأتوا بسورة مثل سور القرآن

---

(١) أخرج الطبري في تفسيره " عن أبي صالح، عن ابن عباس – وعن مُرَّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: "لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين، يعني قوله: "مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَارًا" [البقرة:١٧]، وقوله: "أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ" [البقرة:١٩]، الآيات الثلاث، قال المنافقون: الله أعلى وأجلّ من أنْ يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله: "إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَاۚ" [البقرة:٢٦]، إلى قوله: "أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ" [البقرة:٢٧]"، (٤٢٣/١)، وأخرجه الواحدي في أسباب النزول، "وقال الحسن وقتادة: لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتاب، وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا: ما يشبه هذا كلام الله، فأنزل الله هذه الآية"، ص٢٣، ينظر: معالم التنزيل، البغوي، (١٠٠/١)، فتح القدير، الشوكاني، (٦٧/١)، التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٥٧/١).

(٢) ينظر: الكشاف، الزمخشري، (١١٢/١)، التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٥٨/١).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٥٧/١).

الكريم فلما عجزوا عن معارضته طعنوا في معانيه، فقالوا إن فيه من السخافة ما ينزّه عنه كلام الله، ليُبطلوا كون القرآن من عند الله بإيقاع الشك في نفوس المشركين والمنافقين.(١)

– ثم أكد رحمه الله على هذه المناسبة بتأخر نزول هذه الآية عن الآيات التي استنكر الطاعنون وقوع الأمثال فيها، فإنها نزلت عقب أمثال عظيمة أتت بها السورة وهي قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ [البقرة: ١٩]، وقوله: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨]، فجاءت الآية ردا على الطاعنين بعد الإتيان بأروع الأمثال التي اقتضاها المقام.(٢)

– كما استند ابن عاشور رحمه الله لإبطال هذه الشبهة على براعته اللغوية، فقال: إن في الإتيان بالمسند إليه العلم (الله) دون سائر صفاته سبحانه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة:٢٦]. [البقرة:٢٦]، إبطال لما زعموه من أن في اشتمال القرآن الكريم على مثل هذه الأمثال دليل على أنه ليس من عند الله، فذِكْر اسم (الله) أوقع في الإقناع بأنه كلامه سبحانه.(٣)

– ثم استدل بأحد أوجه معنى الاستحياء في الآية ردّا على الشبهة فقال: إن من أوجه ذكر الاستحياء في الآية "أن الخالق لا يستحي من ذلك إذ ليس مما يستحي منه، ولأن المخلوقات متساوية في الضعف بالنسبة إلى خالقها والمتصرف فيها"(٤)، فله سبحانه أن يضرب الأمثال بما شاء من مخلوقاته.

– وأوضح رحمه الله أن استخدام مثل هذه المعاني والأمثال لا يقدح في بلاغة الكلام، فإن قيل إنّ العرب قد انتقدت استخدام هذه المعاني في بعض الشعر، فالجواب: أن النقد يكون لأمور عدة: إما في صناعة الكلام، أو في صور المعاني، أو فيما يُستحسن ويُكره استخدامه من المعاني والألفاظ، وهذا الأخير يختلف باختلاف الزمان والمكان والمقام، فما يستحسن في مقام يُكره في غيره، وما يكون مقبولا عند قوم لا يُقبل عند غيرهم، وعليه فإن استخدام هذه المعاني لا يقدح في بلاغة الكلام.(٥)

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٥٧/١).

(٢) ينظر: جامع البيان، الطبري، (٤٢٤/١)، التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٥٩/١).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٥٩/١).

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٦٠/١).

(٥) ينظر: المرجع السابق.

وبهذه الردود من النقل والعقل واللغة أبطل رحمه الله هذا الطعن.

ومن الطعون المثارة حول نظم القرآن الكريم ما جاء عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل:١٠١].

الطعن

ذكر ابن عاشور رحمه الله طعْن المشركين في القرآن الكريم عند تفسير هذه الآية حين زعموا وقوع الاختلاف والتناقض والاضطراب في آياته، برمي النبي صلى الله عليه وسلم بتهمة افتراء القرآن الكريم.(١)

دفاع ابن عاشور رحمه الله

– بيّن رحمه الله جهل الطاعنين وقلة إدراكهم عن مرامي القرآن وأغراضه، وأوضح معنى التبديل في الآية، ونقل رواية نسبها إلى ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: "كان إذا نزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية ألين منها يقول كفار قريش: والله ما محمد إلا يسخر بأصحابه، اليوم يأمر بأمر وغدا ينهى عنه، وأنه لا يقول هذه الأشياء إلا من عند نفسه"(٢)، ثم قال: "وهذه الكلمة أحسن ما قاله المفسرون في حاصل معنى هذه الآية، فالمراد من التبديل في قوله تعالى: (بدلنا) مطلق التغاير بين الأغراض والمقامات، أو التغاير في المعاني واختلافها باختلاف المقاصد والمقامات، مع وضوح الجمع بين محاملها"(٣)، فالتبديل في الآية هو التعويض بعوض، وهو لا يقتضي إبطال المعوض، ويشمل نسخ الأحكام، والتعارض بالعموم والخصوص، الذي يُحمل بعضه على بعض ويفسر بعضه بعضا، لاختلاف الأغراض من تبشير وإنذار، أو ترغيب وترهيب، أو إجمال وبيان.(٤)

---

(١) ينظر: المرجع السابق، (٢٨٠/١٤).

(٢) هذه الرواية ذكرها بعض المفسرين منسوبة إلى ابن عباس رضي الله عنه. ينظر: تفسير السمرقندي، (٢٩١/٢)، التفسير الكبير، الرازي، (٢٧٠/٢٠)، وذكرها آخرون بدون عزو إلى قائل. ينظر: تفسير مقاتل، (٤٨٦/٢)، التفسير الوسيط، الواحدي، (٨٤/٢).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٨١/١٤).

(٤) ينظر: المرجع السابق، (٢٨٢/١٤). وجمهور المفسرين على أن معنى التبديل في الآية النسخ. ينظر: جامع البيان، الطبري، (٢٩٧/١٧)، معالم التنزيل، البغوي، (٩٦/٣)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٧٦/١٠)، وانفرد القاسمي بترجيح معنى للتبديل في الآية هو: التبديل بين آيات الأنبياء من معجزات كونية إلى نفسية علمية وهي القرآن الكريم؛ للحاجة إلى ذلك، ولاستعداد النفوس في كل عصر، واستدل على ذلك بأن السورة مكية وليس فيه منسوخ بالمعنى المراد، ينظر: محاسن التأويل، القاسمي، (٤٠٨/٦).

– كما أثبت رحمه الله بطلان هذا الطعن ببيان مناسبة الآية للسورة، فأوضح أن الآية جاءت مناسبة لأكبر أغراض سورة النحل، وهو إثبات نزول القرآن الكريم من عند الله، وبيان هديه وفضله، حيث بدأت السورة بالحديث عن نزول القرآن الكريم من عند الله بواسطة جبريل عليه السلام: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَاْ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل:٢]، ثم أوردت الآيات طعن المشركين فيه بقولهم إنه من أساطير الأولين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [النحل:٢٤]، ثم ردّ الله شبهتهم ببيان فضله بقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل:٦٤]، إلى قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩]، ثم جاءت الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠] كشاهد يجمع كل ما جاء به القرآن الكريم، كل هذا كان توطئة للرد على الطعن التالي في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل:١٠١].[١]

ومن الطعون الواردة في نظم القرآن الكريم ما جاء عن تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبأ:٩].

الطعن

أشار ابن عاشور إلى الطعن الوارد في هذه الآية، فقد زعم الملحدون أن السبات بمعنى النوم، فتكون الآية: وجعلنا نومكم نوما، وهو مما لا يستقيم معه المعنى، وعليه فإن النص لا يمكن مع هذا الخطأ أن يكون من عند الله.[٢]

دفاع ابن عاشور رحمه الله

– ظهرت براعة ابن عاشور اللغوية في إبطال هذا الطعن، فأوضح أن معنى السُبات بضم السين وتخفيف الباء مصدر من السبْت ويراد به: القطع، وهو المعنى الأصلي للكلمة، فيكون معنى الآية: جعلنا لكم النوم قطعا لعمل الجسد فإن البدن لا غنى له عنه.[٣]

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٨٠/١٤).

(٢) ينظر: المرجع السابق، (١٩/٣٠).

(٣) ينظر: المرجع السابق، (١٨/٣٠)، وممن قال بهذا القول من المفسرين: الواحدي في تفسيره الوسيط، (٤١٢/٤)، النسفي في تفسيره، (٥٩٠/٣)، ابن كثير في تفسيره، (٣٠٧/٨).

ونقل ابن عاشور رحمه الله إنكار ابن الأنباري[١] وابن سيده[٢] على من قال بأن سبَت فعل بمعنى: استراح، وأنه ليس معنى للفظ، وأنّ من فسّر السبات بالراحة أراد تفسير حاصل المعنى.[٣]

– ثم أكد ابن عاشور قوله مستعينا بسياق الآية، فالآية وردت في معرض الامتنان على الناس، "بخلق نظام النوم فيهم، لتحصل لهم راحة من أتعاب العمل الذي يكدحون له في نهارهم، فالله تعالى جعل النوم حاصلا للإنسان بدون اختياره، فالنوم يلجئ الإنسان إلى قطع العمل لتحصل"[٤] له الراحة من عناء النهار.[٥]

وبهذا يبطل ابن عاشور هذه الشبهة.

المطلب الثالث: الطعن في سلامة النص القرآني

والقول بوقوع اللحن والخطأ فيه، سواء كان ذلك من الناحية اللغوية أو التاريخية، فزعم الطاعنون وقوع أخطاء نحوية وتاريخية في القرآن الكريم، وقد رد ابن عاشور رحمه الله على بعض هذه الطعون، منها ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾ [مريم:٢٨].

تناول ابن عاشور رحمه الله شبهة الطاعنين في الآية حين قالوا: إن القرآن الكريم ذكر بأن مريم عليها السلام هي أخت هارون عليه السلام، وهذا جهل بالتاريخ والترتيب الزمني، وخلْط بين عصري موسى وعيسى عليهما السلام مع تباعد الزمان بين العصرين كما يزعمون، وهو طعن قديم جاء به أهل نجران في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وتوارثه الملحدون والمستشرقون.[٦]

---

(١) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري، (١٣٧/٢).

(٢) ذكر ابن سيده من معاني سبَت: استراح وانقطع، ينظر: المحكم، ابن سيده، (٤٦٩/٨).

وممن ذكر القولين من المفسرين: ابن جزي في تفسيره، (٤٤٤/٢)، أبو حيان في تفسيره، (٣٨٤/١٠).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٩/٣٠).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٩/٣٠).

(٥) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٥٨٤.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٧٢/٢٠).

دفاع ابن عاشور رحمه الله

– بيّن ابن عاشور رحمه الله منشأ هذا الطعن، وهو جهل أصحابه، وتوهمهم أن عمران والد مريم عليها السلام هو أبو موسى وهارون عليهما السلام، وعليه فإن مريم عليها السلام تكون أختا للنبي موسى وأخاه هارون.

– وأبطل رحمه الله هذه الشبهة بخبر وارد عن النبي صلى الله عليه وسلم، فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال: "بعثني رسول الله إلى أهل نجران فقالوا: أرأيت ما تقرؤون "يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ" [مريم:٢٨] وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟ قال المغيرة: فلم أدر ما أقول، فلما قدمت على رسول الله ذكرت ذلك له، فقال: ألم يعلموا أنهم كانوا يسمّون بأسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم"[(١)]، فقول النبي صلى الله عليه وسلم: "ألم يعلموا أنهم كانوا يسمّون بأسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم " يغني عن كل ما سواه في الرد على هذه الشبهة، فمعنى "يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ" أن قوم مريم عليها السلام خاطبوها بالإضافة إلى أخٍ لها معروف بصلاحه اسمه هارون زيادة في التوبيخ، فيكون المعنى على حقيقته، "أي ما كان لأخت مثله أن تفعل فعلتك"[(٢)]، وهذا هو الاحتمال الأظهر عند ابن عاشور.

– ثم ذكر ابن عاشور رحمه الله احتمالا آخر في معنى الأخوة الوارد في الآية، باعتبار أن مريم عليها السلام تنحدر من ذرية عمران وابنه هارون أخي موسى، من سبط لاوي، والمعنى: يا شبيهة هارون في الصلاح كيف صدر هذا منك؟[(٣)]، وليس في هذا الاحتمال ما ينافي حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.[(٤)]

– بعد أن ذكر رحمه الله الدليل من السنة، وبيّن الأقوال في معنى الأخوة في الآية، ردّ على الطاعنين بحقيقة عدم معرفتهم باسم أبي مريم عليها السلام، فما الذي يمنع من أن يكون اسمه عمران على

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ: عن المغيرة بن شعْبة، قال: "لما قدمت نجران سألوني، فقالوا: إنكم تقرؤون "يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ" [سورة مريم:٢٨]، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك، فقال: (إنهم كانوا يسمّون بأنبيائهم والصالحين قبلهم)"، كتاب الآداب، باب النهي عن التكنّي بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء، ح ٩، (١٦٨٥/٣).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٩٥/١٦)، ينظر: تفسير السمرقندي، (٣٧٣/٢)، تفسير القرآن، السمعاني، (٢٨٩/٣).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٩٦/١٦).

(٤) ينظر: الوسيط، الواحدي، (١٨٢/٣)، تفسير القرآن، السمعاني، (٢٨٨/٣)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢٠١/٥).

اسم أبي موسى وهارون، كما أنكر عليهم جهلهم وقصور إدراكهم، وعدم تصورهم وجود هارون إلا هارون الرسول أخا موسى عليهما السلام.(١)

وبهذه الردود من النقل والعقل يُبطل ابن عاشور هذا الطعن.

المبحث الثالث

جهود ابن عاشور في الدفاع عن موثوقية النص وصحة المصحف من خلال تفسيره التحرير والتنوير

أورد الطاعنون المزاعم التي تشكك في موثوقية النص الموجود بين دفتي المصحف، فشككوا في موضوعات تتعلق بالنسخ، ووقوع الزيادة أو النقصان في النص القرآني، أو الخطأ أو النسيان أثناء كتابة المصحف أو جمعه، وقد أورد ابن عاشور رحمه الله بعض هذه المطاعن ورد عليها، من ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧].

الطعن

ذكر ابن عاشور رحمه الله ما زعمه بعض المتأولين من أن نصب (والصابرين) كان خطأ من كتّاب المصاحف، وادّعوا أن عثمان رضي الله عنه علم بذلك بعد أن قرأ المصحف الذي كتبوه ولم يصححه، وقال: "إني أجد به لحنا ستقيمه العرب بألسنتها".(٢)

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٧٢/٢٠).

(٢) ينظر: المرجع السابق، (١٣٤/١)، والأثر أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن، ص٢٨٧، وابن أبي داود في المصاحف، ص ١٢٢، وهذا الأثر ضعيف، والإسناد فيه اضطراب وانقطاع؛ لأن عثمان رضي الله عنه جُعل للناس إماما يقتدون به، فكيف يرى فيه لحنا ويتركه لتقيمه العرب بألسنتها؟ وقد كتب مصاحف سبعة وليس فيها اختلاف قط، إلا فيما هو من وجوه القراءات، وإذا لم يقمه هو ومن باشر الجمع، كيف يقيمه غيرهم؟ ينظر: محاسن التأويل، القاسمي، (٤٧٧/٣).

قال ابن الأنباري في كتابه "الرد على من خالف مصحف عثمان": "الأحاديث المروية عن عثمان في ذلك لا تقوم بها حجة، لأنها منقطعة غير متصلة، وما يشهد عقل بأن عثمان، وهو إمام الأمة الذي هو إمام الناس في وقته وقدوتهم يجمعهم على المصحف الذي هو الإمام فيتبين فيه خللا، ويشاهد في خطه زللا فلا يصلحه! كلا والله ما يتوهم عليه هذا ذو إنصاف وتمييز، ولا يعتقد أنه أخر الخطأ في الكتاب ليصلحه من بعده، وسبيل الجائين من بعده: البناء على رسمه، والوقوف عند حكمه". ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، (٣٢٢/٢).

دفاع ابن عاشور رحمه الله

– ردّ رحمه الله القول المنسوب إلى عثمان رضي الله عنه، وضعّفه، وأكد على أن هذا الخبر وهم من قائليه، قال: "وهذه أوهام وأخبار لم تصح عن الذين نسبت إليهم".(١)

– ثم تأول رحمه الله الخبر على افتراض صحته مع استبعاد ذلك، بأن المراد باللحن: "ما في رسم المصاحف من إشارات مثل كتابة الألف في صورة الياء إشارة إلى الإمالة"(٢)، وليس المراد به الخطأ، فإنه قول صادر عمن لا يعرف مذاهب العرب في النحو، وضروب الافتنان في الكلام.

– وأكد ابن عاشور رحمه الله على عدم معقولية وقوع الخطأ في كتابة كلمة دون وقوع ذلك فيما سبقها أو تلاها من كلمات، خصوصا إذا كانت طائفة من الكلمات المتماثلة في الإعراب بالحركات الفرعية، فكيف يقع الخطأ في واحدة منها دون غيرها.(٣)

– ثم استعان رحمه الله ببراعته في علم اللغة والنحو فذكر أن نصب (الصابرين) رغم عطفها على مرفوعات هو وجه معروف عند العرب، حيث يخيّر المتكلم في عطف النعوت بين الاتباع في الإعراب للمعطوف عليه وبين القطع، فإذا اختار القطع نصب ما كان حقه الرفع أو الجر، أو رفع ما كان حقه عكس ذلك، حتى يظهر قصد القطع الذي يريده المتكلم، واستدل على ذلك بتكرار وقوعه في القرآن الكريم في نظائر هذه الآية في سورة النساء عند قوله تعالى: "وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ عطفا على قوله: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [النساء: ١٦٢]، وكذلك في سورة المائدة عند قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ عطفا على قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [المائدة: ٦٩].(٤)

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٠/٦)، ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٢٤٠/٢).

(٢) التحرير والتنوير ابن عاشور، (١٣٤/٢)، ينظر: محاسن التأويل، القاسمي، (٤٤٧/٣).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٠/٦).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٣٢/٢)، ومن كتب اللغة ينظر: الجمل في النحو، الفراهيدي، ص ٨٩، الكتاب، سيبويه، (٦٢/٢).

– وبيّن أن غرض مخالفة الإعراب في كلمة (الصابرين) التي وقعت منصوبة عطفا على مرفوعات، فهي منصوبة على الاختصاص، لإفادة المدح تنبيها على مزية الصبر وفضيلته.(١)

– وذكر أيضا من فوائد وقوع النصب في (والصابرين): أن فيه قطعا للصفات الكثيرة للخروج عن الإطناب الذي قد يحصل عند عدم المخالفة في الإعراب، " فإذا خولف إعراب الأوصاف كان المقصود أكمل لأن الكلام عند اختلاف الإعراب يصير كأنه أنواع من الكلام وضروب من البيان"(٢)، سواء كانت هذه النعوت في معرض المدح أو الذم.

وبهذا يبطل القول بوقوع الخطأ في كتابة المصاحف.

ومن الطعون في مصحف عثمان والتشكيك في موثوقية النص ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾ [المائدة:٦٧].

الطعن

عرض ابن عاشور رحمه الله طعْن الرافضة في صحة القرآن الكريم، وزعمهم أن المصحف في الحقيقة أكثر مما هو في المصحف الذي بين أيدينا والذي جمعه أبو بكر رضي الله عنه وأمر عثمان رضي الله عنه بنسخه، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد اختص عليا رضي الله عنه بكثير من القرآن الكريم، وأن هذا الجزء المفقود من القرآن الكريم موجود اليوم عند الإمام المعصوم عندهم والملقب بالمهدي.(٣)

دفاع ابن عاشور رحمه الله

– أشار ابن عاشور رحمه الله إلى أن هذه الشبهة في صحة المصحف هي شبهة قديمة، قد عرضت لبعض العامة في زمن عائشة رضي الله عنها، فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٣٢/٢)، وممن ذكر ذلك من المفسرين: الواحدي في تفسيره الوسيط، (٢٦٢/١)، ابن عطية في تفسيره، (٢٤٤/١)، الرازي في تفسيره، (٢٦٤/١١)، ومن كتب اللغة ينظر: الجمل في النحو، الفراهيدي، ص ٨٩، الكتاب، سيبويه، (٦٢/٢)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، الأنباري، (٣٨٤/٢).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٣٣/٢).

(٣) ينظر: المرجع السابق، (٢٦٠/٦)، وقد أشار القرطبي في تفسيره إلى هذه الشبهة دون أن يردّ عليها، (٢٤٣/٦).

لمسروق: "من حدثك أن محمدا صلى الله عليه وسلم كتم شيئا مما أنزل الله عليه فقد كذب، والله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾.[١]

كما أنها شبهة عرضت لبعض المتشيعين إلى علي رضي الله عنه، فقد سألوه عن ذلك في حياته، فعن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: "سألت عليا رضي الله عنه: هل عندكم شيء مما ليس في القرآن؟ وقال مرة: ما ليس عند الناس؟ فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن، إلا فهما يعطى رجل في كتابه، وما في الصحيفة، قلت: وما في الصحيفة؟، قال: العقل، وفكاك الأسير، وألا يقتل مسلم بكافر»".[٢]

– وأبطل ابن عاشور رحمه الله الشبهة استنادا إلى قول الله تعالى: ﴿وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾، وبيّن أنها أقطع آية في الرد على الرافضة أصحاب هذا الطعن، فقد "دلت الآية على أن الرسول مأمور بتبليغ ما أنزل إليه كله، بحيث لا يتوهم أحد أن رسول الله قد أبقى شيئا من الوحي لم يبلغه، لأنه لو ترك شيئا منه لم يبلغه لكان ذلك مما أنزل إليه ولم يقع تبليغه"[٣]، فمن أهم مقاصد الآية قطع تخرص الرافضة وغيرهم ممن يزعم أن القرآن الكريم أكثر مما هو في المصاحف التي بين أيدينا، أو أن النبي ترك شيئا من الوحي بلا تبليغ.

ثم استدل باللغة للتأكيد على بطلان الشبهة فبيّن أن لفظ الآية يدل على تمام التبليغ، فقد جاء الشرط بإنْ في قوله تعالى: "وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ"، وشأن (إنْ) في كلام العرب "عدم اليقين بوقوع الشرط، لأن عدم التبليغ غير مظنون بمحمد صلى الله عليه وسلم وإنما فرض هذا الشرط ليبنى عليه الجواب، وهو قوله: فما بلغت

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٦١/٦)، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ" (المائدة ٦٧)، ح (٤٦١٢)، (٥٢/٦)، وفي كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ"، ح (٧٥٣١)، (١٥٥/٩).

وأخرجه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها بلفظ: "ومن زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من كتاب الله، فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ"، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: "وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ" [سورة النجم:١٣]، ح (٢٨٧)، (١٥٩/١).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٦٠/٦)، والخبر أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الديات، باب العاقلة، ح (٦٩٠٣)، (١١/٩)، وفي باب لا يقتل المسلم بالكافر، ح (٦٩١٥)، (١٢/٩).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٦٠/٦).

رسالته، ليستفيق الذين يرجون أن يسكت رسول الله عن قراءة القرآن النازل بفضائحهم من اليهود والمنافقين، وليبكت من علم الله أنهم سيفترون، فيزعمون أن قرآنا كثيرا لم يبلغه رسول الله الأمة".[١]

– ثم أكد ابن عاشور رحمه الله على أن التبليغ قد وقع دون تقصير بدليل واقع الحال، فالنبي صلى الله عليه وسلم حرص على ضمان بلوغ الشريعة كلها لجميع الأمة، فكان صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن على الناس عند نزوله عليه، ويأمر بحفظ ما أنزل إليه، ويأمر بتبليغه، وقد أرسل صلى الله عليه وسلم الصحابة إلى الأمصار لتعليم الناس ما نزل من القرآن، وعيّن لأهل الصُفّة لانقطاعهم لحفظ القرآن، وتبعه صحابته رضوان الله عليهم في حرصهم على تبليغ القرآن الكريم، فأبو بكر رضي الله عنه أمر بكتابة القرآن الكريم في المصحف بإجماع الصحابة، وأمر عثمان رضي الله عنه باستنساخ القرآن في المصاحف وإرسالها إلى الأمصار.[٢]

– وأوضح ابن عاشور رحمه الله أنه لا منافاة بين هذا التبليغ وبين ما حصل من النبي صلى الله عليه وسلم حين خصّ بعض الناس ببيان بعض الأحكام التي ليست في القرآن الكريم للحاجة إلى ذلك، فعلي رضي الله عنه حين خصّه ببعض الأحكام كان قاضيا على اليمن، وعمرو بن حزم رضي الله عنه كان مبعوثا، وهذا بيان للمنزل وليس عين المنزل، وليس المراد من ذلك تخصيص المبلّغ بهذا العلم وإنما إخباره للحاجة إلى ذلك[٣]، ودليله أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر من يسمع مقالته أن يؤديها ويعيها، وبهذا حصل المقصود وانتفى التخصيص.[٤]

– كما أنه لا منافاة أيضا بين هذا التبليغ وبين ما حصل أحيانا من تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه بأمور ليست من أمور التشريع، كما أسرّ إلى فاطمة رضي الله عنها بأجله وأنها أول أهله لحوقا به، وأسرّ إلى أبي بكر رضي الله عنه بموضوع الإذن بالهجرة إلى مكة، كما أسرّ صلى الله عليه وسلم إلى حذيفة رضي الله عنه بخبر فتنة الخارجين على عثمان رضي الله عنه، وسرّه صلى الله

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٦١/٦)، ينظر: الانتصاف فيما تضمنه الكشاف، ابن المنير، (٦٣٠/١).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٥٩/٦).

(٣) ينظر: المرجع السابق، (٢٦٠/٦).

(٤) ينظر: المرجع السابق، (٢٦١/٦).

عليه وسلم إلى أبي هريرة رضي الله عنه المشار إليه في قوله: "حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين: فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم".[١]

– واستنادا على ما سبق من أدلة نقلية وعقلية ولغوية ردّ ابن عاشور على شبهة تعلق الطاعنين بالكتاب الذي همّ النبي صلى الله عليه وسلم بكتابته ثم تراجع عنه بأنه لم يكن فيه شيء من الوحي قطعا، وإلا لما تراجع النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، ولما أعرض عن كتابته.[٢]

وبمجموع هذه الأدلة يبطل طعن الرافضة بالقول بنقص القرآن الكريم.[٣]

وقد أشار ابن عاشور إلى مثل هذا الطعن في القرآن الكريم **عند تفسير سورة الأحزاب:** فأشار في بدايتها إلى طعن الرافضة في القرآن الكريم، حين زعموا أنه ناقص، ودليلهم أن سورة الأحزاب كانت تعدل سورة البقرة، فلما كُتب القرآن الكريم في المصاحف لم يُكتب إلا هذا القدر المعلوم، وهي من الشبهات التي تفرد ابن عاشور رحمه الله كمفسرٍ بإبطالها والرد عليها[٤]، وظهرت قوته رحمه الله في علم الحديث والأسانيد عند دحضها، حين ذكر الروايات التي تعلق بها الرافضة في هذا الطعن، وضعّف أسانيدها، وأخبر عن مخالفتها إجماع الصحابة الذين قبلوا مصحف عثمان رضي الله عنه على المقدار الموجود من هذه السورة وغيرها المنقول بالتواتر، وإجماعهم في عدد آيات سور القرآن على عدد قريب بعضه من بعض[٥]، فلم يؤثر عن الصحابة عند جمع القرآن "أنهم ترددوا في ترتيب آيات من إحدى السور، ولا أُثر عنهم إنكار أو اختلاف فيما جمع من القرآن فكان موافقا لما حفظته حوافظهم"[٦]، ثم تأوّل الروايات إن صحّت مع استبعاد ذلك بما

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، (٢٦١/٦)، والخبر أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب حفظ العلم، ح (١٢٠)، (٣٥/١).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٦١/٦).

(٣) ينظر: الانتصار للقرآن، الباقلاني، (٣٩٤/١).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٤٥/٢١)، وقد أشار القرطبي في تفسيره إلى هذا الطعن واكتفى في رده بالقول إنه من كذب الرفضة والملاحدة، (١١٣/١٤)، كما أشار إليه الشهاب في حاشيته على البيضاوي دون ردّ، ينظر: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، شهاب الدين الحنفي، (١٥٥/٧)، ومثله الشوكاني في تفسيره، (٢٩٩/٤).

(٥) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٤٦/٢١).

(٦) المرجع السابق، (٧٩/١).

أجمع عليه أهل العلم من وقوع النسخ في السورة، فمنها ما نسخت تلاوته وحكمه، ومنها ما نسخت تلاوته كآية الرجم.(١)

وبهذه الأدلة يثبت ابن عاشور رحمه الله أنّ القول بنقص شيء من القرآن ما هو إلا تأليف من الرافضة والملاحدة.

المبحث الرابع: منهج ابن عاشور في الدفاع عن القرآن الكريم في تفسيره التحرير والتنوير

مما سبق ومن خلال الاطلاع على الطعون الواردة في كتاب التحرير والتنوير وردود ابن عاشور عليها يمكن القول: إن ابن عاشور رحمه الله من المفسرين القلائل الذين اعتنوا في تفاسيرهم بالرد على الشبهات المثارة حول القرآن الكريم، وقد سار في دفاعه عن القرآن الكريم وفي ردوده لإبطال تلك المطاعن على أسس منهجية واضحة، يمكن حصرها في النقاط التالية:

أولا: تميز ابن عاشور رحمه الله في عرض الشبهات بالتوصيف الواضح الدقيق، كما تميزت ردوده على الطعون الواردة حول القرآن الكريم بالقوة والبراعة؛ لسعة اطلاعه وغزارة علمه، فكان يعرّي الشبهات ويفضح أصحابها، وكان ذلك كله مع اختصار غير مخل، ووضوح في العبارة، والبعد عن الغموض والتعقيد، وقد فاق في ذلك أحيانا المتخصصين في علم إعجاز القرآن الكريم، يقول ابن عاشور رحمه الله وهو يبطل شبهة كون القرآن شعراً: "ولم أرَ لأحد من المفسرين والخائضين في وجوه إعجاز القرآن التصدي لاقتلاع هذه الشبهة، وقد مضت عليها من الزمان برهة، وكنت غير مقتنع بتلك الردود ولا أرضاها، وأراها غير بالغة من غاية خيل الحلبة منتهاها".(٢)

ثانيا: تميزت ردود ابن عاشور رحمه الله على الطعون الواردة في كتابه والمثارة حول القرآن الكريم بتنوع الأدلة الشرعية والعقلية واللغوية والعلمية والتاريخية، حسبما يقتضيه المقام:

– فاعتمد على النقل الصحيح من الكتاب الحكيم، فكان يسرد الآيات التي تردّ على كثير من الشبهات في مواضع عديدة من تفسيره، واستعان بدفاع القرآن عن نفسه، من ذلك ما ذكره ابن عاشور رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم:٥١]، قال رحمه الله: "يقولون ذلك اعتلالا لأنفسهم إذ لم يجدوا في الذكر الذي يسمعونه مدخلا للطعن

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٤٦/٢١).

(٢) المرجع السابق، (٦١/٢٣)، وقد عرضت الطعن ورد ابن عاشور عليه ص١٣ من هذا البحث.

فيه فانصرفوا إلى الطعن في صاحبه صلى الله عليه وسلم، بأنه مجنون لينتقلوا من ذلك إلى أن الكلام الجاري على لسانه لا يوثق به ليصرفوا دهماءهم عن سماعه، فلذلك أبطل الله قولهم: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ﴾ بقوله: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القلم:٥٢]، أي ما القرآن إلا ذكر للناس كلهم وليس بكلام المجانين، وينتقل من ذلك إلى أن الناطق به ليس من المجانين في شيء".(١)

– كما ظهر اعتماده على النقل الصحيح من السنة في الرد على بعض الشبهات، وظهرت معرفته بعلم الحديث في إثبات الروايات أو تضعيفها والرد عليها، من ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا﴾ [الأحزاب:٣٧]، أشار إلى غمز المنافقين والملحدين في مقام النبوة وأجاب عنه بقوله: "وقد رويت في هذه القصة أخبار مخلوطة، فإياك أن تتسرب إلى نفسك منها أغلوطة، فلا تصغ ذهنك إلى ما ألصقه أهل القصص بهذه الآية من تبسيط في حال النبيء صلى الله عليه وسلم حين أمر زيدا بإمساك زوجه، فإن ذلك من مختلقات القصاصين فإما أن يكون ذلك اختلافا من القصاص لتزيين القصة، وإما أن يكون كله أو بعضه من أراجيف المنافقين وبهتانهم فتلقفه القصاص وهو الذي نجزم به، ومما يدل لذلك أنك لا تجد فيما يؤثر من أقوال السلف في تفسير هذه الآية أثرا مسندا إلى النبيء صلى الله عليه وسلم أو إلى زيد أو إلى زينب أو إلى أحد من الصحابة رجالهم ونسائهم، ولكنها كلها قصص وأخبار وقيل وقال".(٢)

– استعان بعلم المكي والمدني ووقت النزول لدحض بعض الطعون، فاعترض على شبهة الغرانيق بأمور منها وقت النزول، فقال رحمه الله: "وكذلك تركيب تلك القصة على آية سورة الحج، وكم بين نزول سورة النجم التي هي من أوائل السور النازلة بمكة وبين نزول سورة الحج التي بعضها من أول ما نزل بالمدينة وبعضها من آخر ما نزل بمكة".(٣)

– كما برع في ردوده اللغوية لإبطال الطعون المثارة حول القرآن الكريم، وهذا كثير في تفسيره، وقد اتضح في نماذج كثيرة عرضت في المبحث السابق.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٠٨/٢٩).

(٢) المرجع السابق، (٦٥/٢٧).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٠٦/١٧).

– وظهرت براعته الكلامية في الردود العقلية على بعض الطعون، من ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [الحج:٥٢]، حين قال رحمه الله: "فلو رووها الثقات لوجب رفضها وتأويلها فكيف وهي ضعيفة واهية، وكيف يروج على ذي مسكة من عقل أن يجتمع في كلام واحد تسفيه المشركين في عبادتهم الأصنام بقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩] إلى قوله: ﴿ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ﴾ [النجم: ٢٣] فيقع في خلال ذلك مدحها بأنها (الغرانيق العلى وأن شفاعتهن لترتجى)، وهل هذا إلا كلام يلعن بعضه بعضا".[١]

– كما استعرض الأدلة التاريخية للرد على الشبهات التي استلزمت ذلك.

– واستعان بعلم المناسبات أكثر من مرة لإبطال بعض الشبهات بطريق عقلي كما يظهر من النماذج السابق عرضها.

ثالثا: جمع ابن عاشور رحمه الله في الدفاع عن القرآن الكريم وعرض الشبهات بين طرق عدة

– فتارة يقدم الشبهة ثم يقوم بإبطالها، وهذا كثير في تفسيره، منه قوله: "وهذا حكاية لإنكارهم أن يكون القرآن وحيا من الله، فزعموا أنه تقوله النبي صلى الله عليه وسلم على الله"[٢]، ثم استعرض الرد على هذه الشبهة.

– وتارة يستعرض الرد على الطعن ثم يذكره، ومثله ما جاء عند تفسير سورة الأحزاب، حين شرع في عرض الروايات المكذوبة والرد عليها لإبطال القول بنقص القرآن الكريم، فقال في نهاية كلامه رحمه الله: "وكون القرآن قد تلاشى منه كثير هو أصل من أصول الروافض ليطعنوا به في الخلفاء الثلاثة، والرافضة يزعمون أن القرآن مستودع عند الإمام المنتظر فهو الذي يأتي بالقرآن وقر بعير".[٣]

– وقد يدافع عن القرآن الكريم بفك دعوى التعارض أو التناقض دون إيراد للطعون والشبهات، وهو كثير مبثوث في مقدمات تفسيره، منها قوله رحمه الله: "ومن أبدع الأساليب في كلام العرب الإيجاز وهو متنافسهم وغاية تتبارى إليها فصحاؤهم، وقد جاء القرآن بأبدعه إذ كان مع ما فيه من الإيجاز المبين في علم المعاني

---

(١) المرجع السابق، (٣٠٤/١٧).

(٢) المرجع السابق، (٦٥/٢٧).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٤٧/٢١).

فيه إيجاز عظيم آخر وهو صلوحية معظم آياته لأن تؤخذ منها معان متعددة كلها تصلح لها العبارة باحتمالات لا ينافيها اللفظ، فبعض تلك الاحتمالات مما يمكن اجتماعه، وبعضها إن كان فرض واحد منه يمنع من فرض آخر فتحريك الأذهان إليه وإخطاره بها يكفي في حصول المقصد من التذكير به للامتثال أو الانتهاء".(١)

– وأحيانا يشير إلى الطعون دون الرد عليها، من ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ [يونس:٢]، قال ابن عاشور رحمه الله: "وإن وصفهم إياه بالسحر ينبئ بأنهم كذبوا بكونه من عند الله ولم يستطيعوا أن يدعوه هذيانا وباطلا فهرعوا إلى ادعائه سحرا، وقد كان من عقائدهم الضالة أن من طرائق السحر أن يقول الساحر أقوالا تستنزل عقول المسحورين، وهذا من عجزهم من الطعن في القرآن بمطاعن في لفظه ومعانيه"(٢)، فاكتفى بالإشارة إلى الطعن دون إبطاله لوضوح أمره وافتضاح أصحابه، ومنه قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ﴾ [سبأ:٣١]: "وهذه الآية انتقال إلى ذكر طعن المشركين في القرآن وهي معطوفة على جملة: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [سبأ: ٢٩]، والاقتصار على حكاية مقالتهم دون تعقيب بما يبطلها إيماء إلى أن بطلانها باد لكل من يسمعها حيث جمعت التكذيب بجميع الكتب والشرائع وهذا بهتان واضح".(٣)

– ونجده يذكر أصحاب الطعن والقائلين به تارة، وأخرى يذكر الطعن بدون نسبته لصاحبه، فقد ينسب الطعن إلى فرد أو أفراد، وقد ينسبه إلى فئات وجماعات كالمشركين، أو المنافقين، أو اليهود، أو ينسبه إلى بعض الفرق الضالة كالرافضة وغيرهم.

رابعا: برزت ملكة ابن عاشور رحمه الله المقاصدية في الرد على بعض الشبهات التي تناولها في تفسيره، والمثارة حول القرآن الكريم، من ذلك قوله رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٦٧]: "وإذ قد كانت هذه الآية من آخر ما نزل من القرآن علمنا أن من أهم مقاصدها أن الله أراد

(١) المرجع السابق، (١٢١/١).

(٢) المرجع السابق، (٨٦/١١).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٠٢/٢٢).

قطع تخرص من قد يزعمون أن الرسول قد استبقى شيئا لم يبلغه، أو أنه قد خص بعض الناس بإبلاغ شيء من الوحي لم يبلغه للناس عامة".[١]

خامسا: كان ابن عاشور رحمه الله يبين سبب الشبهة ومنشأها، فيذكر ما إذا كانت الشبهة ناتجة عن حجة ودليل باطل، أو عن مكابرة وجهل وعناد، وأمثلة ذلك كثيرة في تفسيره، منها قوله رحمه الله عند الرد على الطعن في تشبيهات القرآن الكريم: "فيحتمل أن ذلك قاله علماء اليهود الذين لا حظ لهم في البلاغة، أو قد قالوه مع علمهم بفنون ضرب الأمثال مكابرة وتجاهلا، .....، وإما أن يكون قائله المشركون من أهل مكة مع علمهم بوقوع مثله في كلام بلغائهم كقولهم أجرأ من ذبابة، وأسمع من قراد، وأطيش من فراشة، وأضعف من بعوضة، وهذا الاحتمال أدل، على أنهم ما قالوا هذا التمثيل إلا مكابرة ومعاندة فإنهم لما غلبوا بالتحدي وعجزوا عن الإتيان بسورة من مثله تعلقوا في معاذيرهم بهاته السفاسف، والمكابر يقول ما لا يعتقد"[٢]، ومنه ما قاله رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل:١٠١]: "وبعض ذلك ناشئ عن قصور مداركهم عن إدراك مرامي القرآن وسمو معانيه، وبعضه ناشئ عن تعمد للتجاهل تعلقا بظواهر الكلام يلبسون بذلك على ضعفاء الإدراك من أتباعهم، ولذلك قال تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[النحل:١٠١]، أي: ومنهم من يعلمون ولكنهم يكابرون".[٣]

سادسا: يلاحظ استدراكه على من قبله في بعض الردود على بعض المطاعن، مما يظهر عمق تفكيره وبعده عن التقليد، ومتابعته لأقوال من سبقه، كإنكاره على من استغرق في نفي أمّيّة النبي صلى الله عليه وسلم للرد على الطعن في كيفية نزول القرآن الكريم منجما، يقول رحمه الله: "فخوض المفسرين في بيان الفرق بين حالة رسولنا من الأمية وحالة الرسل الذين أنزلت عليهم الكتب اشتغال بما لا طائل فيه، فإن تلك الكتب لم تنزل أسفارا تامة قط"[٤]، واستدراكه رحمه الله على من حاول إخراج مفهوم الشعر عن فقرات القرآن الكريم، إبطالاً لمن ادعى أن القرآن شعرا، يقول رحمه الله: "ولا فائدة في الاستكثار من جلْب

---

(١) المرجع السابق، (٦/٢٦٠).

(٢) تفسير ابن عاشور، (١/٣٥٨).

(٣) المرجع السابق، (١٤/٢٨١).

(٤) ينظر: المرجع السابق، (١٩/١٩).

ما يلفى متزنا، فإن وقوع ما يساوي بيتا تاما من بحر من بحور الشعر العربي ولو نادرا أو مزحفا أو معلّا كافٍ في بقاء الإشكال".[١]

سابعا: من الأساليب التي استخدمها ابن عاشور رحمه الله في عرض الطعون في تفسيره:

– أسلوب السؤال في عرض الشبهة، كقوله حين عرض شبهة وقوع التكرار في القرآن الكريم، "فقيل: لماذا لم يقع الاستغناء بالقصة الواحدة في حصول المقصود منها؟ وما فائدة تكرار القصة في سور كثيرة؟".[٢]

– أسلوب التشبيه، والذي استخدمه في الرد على ذات الشبهة بقوله: "كما لا يقال للخطيب في قوم، ثم دعته المناسبات إلى أن وقف خطيبا في مثل مقامه الأول فخطب بمعان تضمنتها خطبته السابقة: إنه أعاد الخطبة، بل إنه أعاد معانيها ولم يعد ألفاظ خطبته، وهذا مقام تظهر فيه مقدرة الخطباء فيحصل من ذكرها هذا المقصد الخطابي. ثم تحصل معه مقاصد أخرى".[٣]

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛ فإنه بعد الفراغ من كتابة هذا البحث أورد مستعينة بالله أهم نتائجه:

النتائج

١– ظهرت جهود ابن عاشور رحمه الله واضحة جلية في الدفاع عن القرآن الكريم من خلال تفسيره التحرير والتنوير، وهي الطاقة التي بذلها رحمه الله لحماية القرآن الكريم من الشبهات والطعون المثارة حوله، بتفنيدها وإبطالها والرد عليها.

٢– تنوعت المجالات والموضوعات التي تناولها ابن عاشور رحمه الله في الدفاع عن القرآن الكريم، فتناول الشبهات المثارة حول مصدر القرآن الكريم ونظمه وأسلوبه وموثوقية النص وسلامة المصحف.

٣– تنوعت الأدلة التي استخدمها ابن عاشور رحمه الله في الدفاع عن القرآن الكريم، فاستند رحمه الله على أدلة النقل والعقل، واللغة، والتاريخ، وغيرها.

---

(١) ينظر: المرجع السابق، (٦٠/٢٣).

(٢) تفسير ابن عاشور، (٦٨/١).

(٣) المرجع السابق.

٤- تنوعت أساليب ابن عاشور رحمه الله وطرق عرضه للشبهات وردّه عليها في تفسيره التحرير والتنوير.

٥- ظهرت براعة ابن عاشور رحمه الله الحديثية واللغوية والجدلية والمقاصدية في تفنيد الشبهات وإثبات بطلانها.

٦- برزت إحاطته رحمه الله بالمطاعن المثارة حول القرآن الكريم، فكان من المفسرين القلائل الذين اعتنوا في كتبهم بدحض هذه الشبهات والردّ عليها، وقد فاق ردّه أحيانا بعض أصحاب كتب علوم القرآن.

٧- تبيّن من خلال البحث انفراد ابن عاشور رحمه الله في الرد على بعض الطعون التي لم يتعرض لإبطالها قبله أحد من المفسرين.

٨- تظهر عناية القرآن الكريم بالرد على كثير من الطعون المثارة حول مصدرية القرآن الكريم.

٩- يتبيّن للباحث في علم الانتصار للقرآن الكريم أن المشركين والملاحدة ليسوا وحدهم أصحاب هذه الطعون، بل إن كثيرا من الطعون المثارة حول القرآن الكريم كانت من فرق ضالة منتسبة للإسلام، أثاروها لإثبات دعاواهم الباطلة.

التوصيات

١- العناية بموضوع الدفاع عن القرآن الكريم وكتابة الأبحاث العلمية فيه، ليأخذ حظه من البحث والدراسة كغيره من علوم القرآن الكريم.

٢- كتابة المزيد من الأبحاث التي تدرس جهود المفسرين ومناهجهم في الدفاع عن القرآن الكريم.

٣- كتابة بحث علمي في استدراكات ابن عاشور رحمه الله على من قبله من المفسرين في موضوع الدفاع عن القرآن الكريم.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ.

أحكام القرآن، ابن العربي، محمد بن عبد الله، تعليق: محمد عبد القادر عطا، ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ.

أسباب النزول، الواحدي، علي بن أحمد، تحقيق: عصام الحميدان، ط٢، الدمام: دار الإصلاح، ١٤١٢هـ.

الأعلام، الزركلي، خير الدين بن محمود بن فارس، ط١٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.

الانتصار للقرآن، الباقلاني، محمد بن الطيب، تحقيق: د. محمد عصام، ط١، عمّان: دار الفتح، ١٤٢٢هـ.

الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، الإسكندري، أحمد بن محمد بن المنير، ط الأخيرة، مصر: مطبعة مصطفى البابي، ١٣٨٤هـ.

الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد، ط١/ المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ.

البحر الزخار المعروف بمسند البزار، البزار، أبو بكر أحمد بن عمر، تحقيق: عادل سعد، ط١، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٤هـ.

بحر العلوم، السمرقندي، نصر بن محمد، تحقيق: محمود مطرجي، بيروت: دار الفكر.

البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر.

البيان في عدّ آي القرآن، أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد، تحقيق: غانم قدوري الحمد، ط١، الكويت: مركز المخطوطات والتراث، ١٤١٤هـ.

التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، ابن عاشور، محمد الطاهر، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، ط٢، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٤ م.

التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، محمد بن أحمد، تحقيق: عبد الله الخالدي، ط١، بيروت: دار الأرقم، ط١، ١٤١٦هـ.

تفسير ابن فورك، ابن فورك، محمد بن الحسن، تحقيق: علال بندويش، ط١، المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى، ١٤٣٠هـ.

تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تحقيق: محمد حسين، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ.

تفسير القرآن، السمعاني، منصور بن محمد، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وآخرون، ط١، الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ.

التفسير الكبير، الرازي، محمد بن عمر، ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

التفسير الوسيط، الواحدي، علي بن أحمد، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

تفسير مقاتل بن سليمان، البلخي، مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله شحاتة، ط١، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٣هـ.

تهذيب اللغة، الأزهري، محمد بن أحمد، تحقيق: محمد عوض، ط١، بيروت: دار إحياء التراث، ٢٠٠١م.

التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، عبد الرؤوف بن علي، ط١، القاهرة: عالم الكتب، ١٤١٠هـ.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢هـ.

الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد، تحقيق: أحمد البردوني وآخرون، ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ.

الجمل في النحو، الفراهيدي، الخليل بن أحمد، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ط٥، ١٤١٦هـ.

جمهرة اللغة، ابن دريد، محمد بن الحسن، تحقيق: رمزي منير، ط١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.

الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري، محمد بن القاسم، تحقيق: د. حاتم الضامن، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ.

الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، عياض بن موسى، ط٢، عمان: دار الفيحاء، ١٤٠٧هـ.

صحيح البخاري، البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد الناصر، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، الشهاب، أحمد بن محمد، بيروت: دار صادر.

العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد، تحقيق: مهدي المخزومي وآخرون، دار الهلال.

فتح القدير، الشوكاني، محمد بن علي، ط١، بيروت: دار ابن كثير، ١٤١٤هـ.

فضائل القرآن، القاسم بن سلام، القاسم ين سلام بن عبد الله، تحقيق: مروان العطية وآخرون، ط١، دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٥هـ.

الكتاب، سيبويه، عمرو بن عثمان، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٨هـ.

الكشاف، الزمخشري، محمود بن عمرو، ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

الكليات، أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى، تحقيق: عدنان درويش وآخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة.

لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم. ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.

محاسن التأويل، القاسمي، محمد بن محمد، تحقيق: محمد باسل، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.

المحرر الوجيز، الأندلسي، عبد الحق بن عطية، تحقيق: عبد السلام محمد، ط١، بيروت: دار الكتب العلمي، ١٤٢٢هـ.

المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، علي بن إسماعيل، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ.

مختار الصحاح، الرازي، محمد بن أبي بكر، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط٥، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ.

مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، عبد الله بن أحمد، تحقيق: يوسف بديوي، ط١، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٤١٩هـ.

مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، القاري، علي بن محمد الهروي، ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٢هـ.

المصاحف، ابن أبي داود، عبد الله بن سليمان، تحقيق: محمد بن عبده، ط١، القاهرة: الفاروق الحديثة، ١٤٢٣هـ.

معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، الحسين بن مسعود، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ.

معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، إبراهيم بن السري، تحقيق: عبد الجليل شلبي، ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨هـ.

مفتاح العلوم، السكاكي، يوسف بن أبي بكر، تعليق: نعيم زرزور، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ.

مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس القزويني، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

الناسخ والمنسوخ، المقري، هبة الله بن سلامة، تحقيق: زهير الشاويش وآخرون، ط١، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ.

الناسخ والمنسوخ، النحاس، أحمد بن محمد، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد، ط١، الكويت، مكتبة الفلاح، ١٤٠٨هـ.

المراجع العربية بالحروف اللاتينية

al-Itqān fī ‘ulūm al-Qur’ān, al-Suyūṭī, ‘Abd al-Raḥmān ibn Abī Bakr, taḥqīq: Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, al-Hay’ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah lil-Kitāb, 1394h.

Aḥkām al-Qur’ān, Ibn al-‘Arabī, Muhammad ibn ‘Abd Allāh, ta‘līq: Muḥammad ‘Abd al-Qādir ‘Aṭā, ṭ3, Bayrūt: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1424h.

Asbāb al-nuzūl, al-Wāḥidī, ‘Alī ibn Aḥmad, taḥqīq: ‘Iṣām al-Ḥumaydān, ṭ2, al-Dammām: Dār al-iṣlāḥ, 1412h.

al-A‘lām, al-Ziriklī, Khayr al-Dīn ibn Maḥmūd ibn Fāris, ṭ15, Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn, 2002M.

al-Intiṣār lil-Qur’ān, al-Bāqillānī, Muḥammad ibn al-Ṭayyib, taḥqīq: D. Muḥammad ‘Iṣām, Ṭ1, Amman: Dār al-Fatḥ, 1422h.

al-Inṣāf fī masā’il al-khilāf bayna al-naḥwīyīn al-Baṣrīyīn wa-al-Kūfīyīn, Ibn al-Anbārī, ‘Abd al-Raḥmān ibn Muḥammad, Ṭ1 / al-Maktabah al-‘Aṣrīyah, 1424h.

al-Baḥr al-zakhkhār al-ma‘rūf bi-Musnad al-Bazzār, al-Bazzār, Abū Bakr Aḥmad ibn ‘Umar, taḥqīq: ‘Ādil Sa‘d, Ṭ1, al-Madīnah al-Munawwarah: Maktabat al-‘Ulūm wa-al-Ḥikam,1424.

Baḥr al-‘Ulūm, al-Samarqandī, Nasr ibn Muḥammad, taḥqīq: Maḥmūd mṭrjy, Bayrūt: Dār al-Fikr.

al-Baḥr al-muḥīṭ fī al-tafsīr, Abū Ḥayyān, Muḥammad ibn Yūsuf al-Andalusī, al-muḥaqqiq: Ṣidqī Muḥammad Jamīl, Bayrūt: Dār al-Fikr.

al-Bayān fī ‘add āy al-Qur’ān, Abū ‘Amr al-Dānī, ‘Uthmān ibn Sa‘īd, taḥqīq: Ghānim Qaddūrī al-Ḥamad, Ṭ1, al-Kuwayt: Markaz al-Makhṭūṭāt wa-al-Turāth, 1414h.

al-Taḥrīr wa-al-tanwīr (taḥrīr al-ma‘ná al-sadīd wa-tanwīr al-‘aql al-jadīd min tafsīr al-Kitāb al-Majīd), Ibn ‘Āshūr, Muḥammad al-Ṭāhir, Tūnis: al-Dār al-Tūnisīyah lil-Nashr, 1984m.

Tarājim al-mu’allifīn al-Tūnisīyīn, Muḥammad Maḥfūẓ, ṭ2, Bayrūt: Dār al-Gharb al-Islāmī, 1994 M.

al-Tas′hīl li-‘Ulūm al-tanzīl, Ibn Juzayy, Muḥammad ibn Aḥmad, taḥqīq: ‘Abd Allāh al-Khālidī, Ṭ1, Bayrūt: Dār al-Arqam, Ṭ1, 1416h.

Tafsīr Ibn Fūrak, Ibn Fūrak, Muḥammad ibn al-Ḥasan, taḥqīq: ‘Allāl bndwysh, Ṭ1, al-Mamlakah al-‘Arabīyah al-Sa‘ūdīyah: Jāmi‘at Umm al-Qurá, 1430h.

Tafsīr al-Qur’ān al-‘Aẓīm, Ibn Kathīr, Ismā‘īl ibn ‘Umar, taḥqīq: Muḥammad Ḥusayn, Ṭ1, Bayrūt: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1419H.

Tafsīr al-Qur’ān, al-Sam‘ānī, Manṣūr ibn Muḥammad, taḥqīq: Yāsir ibn Ibrāhīm wa-ākharūn, Ṭ1, al-Riyāḍ: Dār al-waṭan, 1418h.

al-Tafsīr al-kabīr, al-Rāzī, Muḥammad ibn ‘Umar, ṭ3, Bayrūt: Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, 1420h.

al-Tafsīr al-Wasīṭ, al-Wāḥidī, ‘Alī ibn Aḥmad, taḥqīq: ‘Ādil ‘Abd al-Mawjūd wa-ākharūn, Ṭ1, Bayrūt: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah.

Tafsīr Muqātil ibn Sulaymān, al-Balkhī, Muqātil ibn Sulaymān, taḥqīq: ‘Abd Allāh Shiḥātah, Ṭ1, Bayrūt: Dār Iḥyā’ al-Turāth, 1423h.

Tahdhīb al-lughah, al-Azharī, Muḥammad ibn Aḥmad, Muḥammad ‘Awaḍ, Ṭ1, Bayrūt: Dār Iḥyā’ al-Turāth, 2001M.

al-Tawqīf ‘alá muhimmāt al-ta‘ārīf, al-Munāwī, ‘Abd al-Ra’ūf ibn ‘Alī, Ṭ1, al-Qāhirah: ‘Ālam al-Kutub, 1410h.

Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī tafsīr kalām al-Mannān, al-Sa‘dī, ‘Abd al-Raḥmān ibn Nāṣir, taḥqīq: ‘Abd al-Raḥmān al-Luwayḥiq, Ṭ1, Mu’assasat al-Risālah, 1420h.

Jāmi‘ al-Bayān ‘an Ta’wīl āy al-Qur’ān, al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr, taḥqīq: al-Duktūr ‘Abd Allāh ibn ‘Abd al-Muḥsin al-Turkī, Ṭ1, Dār Hajar lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘ wa-al-I‘lān, 1422h.

al-Jāmi‘ li-aḥkām al-Qur’ān, al-Qurṭubī, Muḥammad ibn Aḥmad, taḥqīq: Aḥmad al-Baraddūnī wa-ākharūn, ṭ2, al-Qāhirah: Dār al-Kutub al-Miṣrīyah, 1384h.

al-Jamal fī al-naḥw, al-Farāhīdī, al-Khalīl ibn Aḥmad, taḥqīq: D. Fakhr al-Dīn Qabāwah, ṭ5, 1416h.

Jamharat al-lughah, Ibn Durayd, Muḥammad ibn al-Ḥasan, taḥqīq: Ramzī Munīr, Ṭ1, Bayrūt: Dār al-ʻIlm lil-Malāyīn, 1987m.

al-Zāhir fī maʻānī Kalimāt al-nās, Abū Bakr al-Anbārī, Muḥammad ibn al-Qāsim, taḥqīq: D. Ḥātim al-Ḍāmin, Ṭ1, Bayrūt: Muʼassasat al-Risālah, 1412h.

al-Shifā bi-taʻrīf Ḥuqūq al-Muṣṭafá, al-Qāḍī ʻIyāḍ, ʻIyāḍ ibn Mūsá, ṭ2, ʻAmmān: Dār al-Fayḥāʼ, 1407h.

Ṣaḥīḥ al-Bukhārī, al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismāʻīl, taḥqīq: Muḥammad al-Nāṣir, Ṭ1, Dār Ṭawq al-najāh, 1422h.

Ṣaḥīḥ Muslim, Muslim ibn al-Ḥajjāj, taḥqīq: Muḥammad Fuʼād ʻAbd al-Bāqī, Bayrūt: Dār Iḥyāʼ al-Turāth al-ʻArabī.

ʻInāyat al-Qāḍī wa-kifāyat al-Rāḍī ʻalá tafsīr al-Bayḍāwī, al-Shihāb, Aḥmad ibn Muḥammad, Bayrūt: Dār Ṣādir.

al-ʻAyn, al-Farāhīdī, al-Khalīl ibn Aḥmad, taḥqīq: Mahdī al-Makhzūmī wa-ākharūn, Dār al-Hilāl.

Fatḥ al-qadīr, al-Shawkānī, Muḥammad ibn ʻAlī, Ṭ1, Bayrūt: Dār Ibn Kathīr, 1414h.

Faḍāʼil al-Qurʼān, al-Qāsim ibn Sallām, al-Qāsim ibn Sallām ibn ʻAbd Allāh, taḥqīq: Marwān al-ʻAṭīyah wa-ākharūn, Ṭ1, Dimashq: Dār Ibn Kathīr, 1415h.

al-Kitāb, Sībawayh, ʻAmr ibn ʻUthmān, taḥqīq: ʻAbd al-Salām Hārūn, ṭ3, al-Qāhirah: Maktabat al-Khānjī, 1408h.

al-Kashshāf, al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn ʻAmr, ṭ3, Bayrūt: Dār al-Kitāb al-ʻArabī, 1407h.

al-Kullīyāt, Abū al-Baqāʼ al-Kaffawī, Ayyūb ibn Mūsá, taḥqīq: ʻAdnān Darwīsh wa-ākharūn, Bayrūt: Muʼassasat al-Risālah. .

Lisān al-ʻArab, Ibn manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram. ṭ3, Bayrūt: Dār Ṣādir, 1414h.

Maḥāsin al-taʼwīl, al-Qāsimī, Muḥammad ibn Muḥammad, taḥqīq: Muḥammad Bāsil, Ṭ1, Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 1418h.

al-Muḥarrir al-Wajīz, al-Andalusī, ʻAbd al-Ḥaqq ibn ʻAṭīyah, taḥqīq: ʻAbd al-Salām Muḥammad, Ṭ1, Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʻIlmī, 1422h.

al-Muḥkam wa-al-Muḥīṭ al-Aʻẓam, Ibn sydh, ʻAlī ibn Ismāʻīl, taḥqīq: ʻAbd al-Ḥamīd Hindāwī, Ṭ1, Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 1421h.

Mukhtār al-ṣiḥāḥ, al-Rāzī, Muḥammad ibn Abī Bakr, taḥqīq: Yūsuf al-Shaykh Muḥammad, ṭ5, Bayrūt: al-Maktabah al-ʻAṣrīyah, 1420h.

Madārik al-tanzīl wa-ḥaqāʼiq al-taʼwīl, al-Nasafī, ʻAbd Allāh ibn Aḥmad, taḥqīq: Yūsuf Budaywī, Ṭ1, Bayrūt: Dār al-Kalim al-Ṭayyib, 1419H.

al-Maṣāḥif, Ibn Abī Dāwūd, ʻAbd Allāh ibn Sulaymān, taḥqīq: Muḥammad ibn ʻAbduh, Ṭ1, al-Qāhirah: al-Fārūq al-ḥadīthah, 1423h.

Ma‘ālim al-tanzīl fī tafsīr al-Qur’ān, al-Baghawī, al-Ḥusayn ibn Mas‘ūd, taḥqīq: ‘Abd al-Razzāq al-Mahdī, Ṭ1, Bayrūt: Dār Iḥyā’ al-Turāth, 1420h.

Ma‘ānī al-Qur’ān wa-i‘rābuh, al-Zajjāj, Ibrāhīm ibn al-sirrī, taḥqīq: ‘Abd al-Jalīl Shalabī, Ṭ1, Bayrūt: ‘Ālam al-Kutub, 1408h.

Miftāḥ al-‘Ulūm, al-Sakkākī, Yūsuf ibn Abī Bakr, ta‘līq: Na‘īm Zarzūr, ṭ2, Bayrūt: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1407h.

Maqāyīs al-lughah, Ibn Fāris, Aḥmad ibn Fāris al-Qazwīnī, taḥqīq: ‘Abd al-Salām Hārūn, Dār al-Fikr, 1399h.

al-Nāsikh wa-al-mansūkh, al-Muqrī, Hibat Allāh ibn Salāmah, taḥqīq: Zuhayr al-Shāwīsh wa-ākharūn, Ṭ1, Bayrūt: al-Maktab al-Islāmī, 1404h.

al-Nāsikh wa-al-mansūkh, al-Naḥḥās, Aḥmad ibn Muḥammad, taḥqīq: D. Muḥammad ‘Abd al-Salām Muḥammad, Ṭ1, al-Kuwayt, Maktabat al-Falāḥ, 1408h.

Efforts of Imam Ibn Ashour to Defend the Holy Quran and His Approach to Presenting Doubtful Matters within His Interpretation Entitled "Al-Tahrir wa Al-Tanweer"

Tahani Salim Ahmad Bahwirth

Associate professor, Department of the Holy Quran and Sunnah, Collage of Da'wah and Fundamentals of Religion, Umm Al-Qura University, Makkah, KSA

tsbahwirth@uqu.edu.sa

Abstract. Since the revelation of the Holy Quran, attempts to derogate it continue to take place. There have been notable efforts by scholars to address the doubtful matters. The research aims to demonstrate the efforts of Imam Ibn Ashour in defending the origin and the correctness of the Holy Quran. It also aims to demonstrate his approach in doing so. The research followed an analytical-inductive approach. One of the most notable results is that Ibn Ashour -may Allah have mercy on him- has made a great effort to defend the Holy Quran by presenting the impugnations raised thereon, and refuting and invalidating them, with evidence of tradition, reason, language, history and others, With the diversity of areas and topics addressed in the defense of the Holy Quran. The approaches adopted by Ibn Ashour in presenting doubtful matters and corresponding to them were varied in his book. The research recommends paying extra attention to the issue of defending the Holy Quran by producing academic research owing to the significance of this topic.

*Keywords***:** Ibn Ashour, Impugnation, Doubtful matters, Defending the Quran, Al-Tahrer w Al-Tanweer.